

شعراء حول الرسول

□ صلى الله عليه وسلم □

تأليف

الدكتور / محمد عبد الحليم غنيم

الطبعة الأولى

٢٠٠٢ - ١٤٢٣ م

مكتبة الإيمان بالمنصورة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

المقدمة

بيان المؤلف

كان هذا الكتاب في الأصل مجموعة من المقالات نشرت في جريدة « عمان » بدولة سلطنة عُمان ، خلال شهر رمضان الكريم عامي ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠ ، وكانت كل مقالة تختص بأحد الشعراء الذين عاصروا النبي ﷺ فمدحوه أو رثوه أو شاركوا بشكل أو بآخر في الدفاع عن الدعوة المحمدية وتثبيت أركانها .

وقد رأيت بعد عامين من نشرها أن أرسم هذه المقالات في كتاب ، مضيفاً عدداً آخر من الشعراء ومؤقاً للمادة الشعرية مع ضبطها إذا اقتضى السياق ، كذلك مهدت لها بفصل موجز عن الشعر في العهد النبوي وموقف القرآن الكريم والرسول ﷺ منه وقضية ضعف الشعر في هذا العهد . أما الشعراء أنفسهم فقد رتبهم ترتيباً ألفاً باطلاً على حروف المعجم ، على صورةمجموعات كل مجموعة تأخذ فصلاً معيناً ، وقد وصل عددهم إلى تسعه وأربعين شاعراً ، ووضعتهم في ستة فصول متالية من الأول حتى السادس . وهكذا يتنظم هذا الكتاب في مقدمة ومدخل وستة فصول .

ولما كنت في هذا الكتاب أخاطب القارئ العادي والقارئ المتخصص مما حرصت أن أجتمع بين الطريقة المبسطة في العرض والمنهج العلمي في البحث ، لذلك كان الاعتماد على الإيجاز في عرض المادة السيرية التي تخص الشاعر موضوع الفصل ، فلم أنقل الكتاب بالتحقيق في تاريخ ميلاد الشاعر أو تاريخ وفاته ، ولم أنقل الكتاب بعرض القصص الجاذبة حول حياة الشاعر ، كذلك الإيجاز في المادة الشعرية التي تخص الشاعر ، مع توثيق هذه المادة وضبطها بالشكل وشرحها إذا اقتضى السياق .

أما الشاعر نفسه الذي استحق أن يأخذ لقب شاعر النبي أو لقب شاعر حول الرسول ﷺ ، فاشترطت أن يكون صحابياً معاصرًا للنبي ﷺ ، أشد النبي ﷺ

شعرًا أو أرسله إليه أو استمتع النبي ﷺ إلى شعره دون أن يراه ، أو رثى النبي ﷺ بعد وفاته . لذلك استبعدت الشعراء الذين هجوا الرسول ﷺ ولم يعتذرُوا عن ذلك ، فماتوا كفاراً ، واستبعدت أيضًا الشعراء الذين مدحوا النبي ﷺ في حياته ، ولكنهم ارتدوا بعد وفاته أو قبل وفاته ، وعلى الإجمال : استحق لقب شاعر النبي وترجمتنا له في هذا الكتاب من دافع عن الدعاوة المحمدية وشارك في تأسيسها بالقول الشعري - على أن من الشعراء جمع بين القول والفعل - وظهر أثر الإسلام في قوله . وقد كان من أبرز أهداف هذا الكتاب بحث هذا الأثر وأظهاره .

وبعد ، فأسأل الله التوفيق ، وعلى الله قصد السبيل

دكتور / محمد عبد الحليم غنيم
١٠ من رجب سنة ١٤٢٣ هـ

المدخل

الشعر في العهد النبوي

وموقف القرآن والرسول ﷺ منه



المدخل

الشعر في العهد النبوي وموقف القرآن والرسول ﷺ منه

يُطلق الدكتور شوقي ضيف - أشهر مؤرخي الأدب العربي في القرن العشرين - لفظ العصر الإسلامي على الشعر والأدب العربي مختلف فتوته على الفترة من بداية نزول الوحي على النبي ﷺ إلى نهاية الدولة الأموية ، وعليه يشمل العصر الإسلامي عنده ثلاثة مراحل :

- ١ - الشعر والثر في عهد النبي ﷺ ، أي حتى نهاية السنة الحادية عشرة للهجرة.
- ٢ - الشعر والثر في عهد الخلفاء الراشدين ، أي حتى وفاة علي بن أبي طالب سنة ٤٠ هـ .
- ٣ - الشعر والثر في الدولة الأموية ، أي من سنة ٤٠ للهجرة إلى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ .

وقد أطلق الدكتور شوقي ضيف والمورخون من بعده على المراحلتين الأولى والثانية (عصر صدر الإسلام) وعلى المرحلة الثالثة (العصر الأموي) نسبة إلى بنى أمية على اعتبار أن معاوية بن أبي سفيان أول خلفائهم .

ولما كان كتابنا هو « شعراء النبي » فلن نخرج عن الفترة الأولى من عصر صدر الإسلام وبالتحديد فترة نبوة محمد ﷺ ، وما قيل في هذه الفترة من شعر في محمد ﷺ ودعوته ، ولذلك أطلقنا على كتابنا « شعراء النبي ﷺ » ، أي أنها لن تترجم لهؤلاء الشعراء الذين هجروا الدعوة المحمدية ومحمدًا بالطبع ، إلا من دخل الإسلام بعد ذلك ، وأخذ جانب الدعوة المحمدية مدافعاً ومؤيداً ، ثم ظهر أثر هذه الدعوة في شعره كعبد الله بن الزبيري وضرار بن الخطاب ، على سبيل

المثال لا الحصر .

وقد أثار المؤرخون والنقاد عدة قضايا عند تعرضهم للشعر في العهد النبيوي وصدر الإسلام بصورة عامة ، لعل على رأسها موقف الإسلام والنبي محمد ﷺ من الشعر ، والسؤال حول شاعرية النبي ﷺ وهل كان شاعراً ؟ وضعف الشعر في عهد النبي ﷺ بسبب نزول القرآن ، وما ترتبت على ذلك من قلة الشعر في هذا العهد كما وكيفاً . وستعالج في هذا الفصل هذه القضايا بالترتيب حسب ورودها ولكن بصورة موجزة .

كثرة ما نظم من شعر في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين :

عند ما قال ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصبح منه فجاه الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته . فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ، واطمأنّت العرب بالانصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يزولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، والدوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فمحظروا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير ^(١) فسرّت عبارته خطأ ، فظنن أنّ العرب توقفت عن قول الشعر والاهتمام به ، خاصة في عهد النبوة ، ثم جاء ابن خلدون بعد ذلك ليؤكد هذا التفسير الخاطئ في مقدمته ، عند ما قال : « ... ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغله من أمر الدين والتبعة والوحى ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فاخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والثر زماناً ثم استقر ذلك وأوّل الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمّعه النبي ﷺ وأثاب عليه فرجموا حيثئذ دينهم منه » ^(٢) .

(١) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، الهيئة العامة لنفسه ، الذخائر ، ع ٧٢ ، القاهرة ٢٠٠٦ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٣ ، بيروت ، ٥ ، ت ص ٥٨١ .

وابن خلدون هنا يردد ما قاله سلفه ابن سلام ، بيد أنه يؤكّد هنا أنّ الشعر توقف في عهد النبوة ، وهذا ما لا نوافقه عليه بالمرة ، لأنّ الواقع التاريخي تتفق ذلك من ناحية ، وعبارة ابن خلدون نفسها تتفق ذلك أيضًا من ناحية ثانية ، فقد قال في ختام عبارته أنّ الرسول استمع إلى الشعر وأثاب عليه ، وهذا أكدته الواقع التاريخية ، فقد اتّخذ شاعرًا خاصًا له هو حسان بن ثابت ، وقد انضم إليه شعراء آخرون ، مثل: عبد الله بن رواحة ، وكتب بن مالك ، كانوا إيمانًا لسان حال الدعوة الحمودية والمناقب عندها ضد هجمات الأعداء من شعراء المشركيين و « تزخر كتب الأدب والتاريخ بما نظم من أشعار في صدر الإسلام » وهي أشعار كثيرة ، نلقاها في كل ما يصادفنا من أحداث العصر ، فليس هناك حدث كبير إلا ويرواكه الشعر ويرافقه ، وكان أكبر الأحداث دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام^(١) .

أما عبارة ابن سلام فالتفسير الصحيح لها في رأيي : أن العرب انشغلت بالإسلام والوحى في البداية عن روایة الشعر والاهتمام به ، لذلك ضاع شعر كثير ولم يبق منه إلا القليل ، خاصة من شعر الجاهليه ، وعليه لا يجوز أن نفهم من عبارة ابن سلام كما فهم ابن خلدون أن العرب أخرست عن قول الشعر ، بل على العكس من ذلك ، فإن ثمة عبارة لابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراه ، تشير إلى أن القصائد قصدت وطولت على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف « ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الآيات بقولها الرجل في حاجته ، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف »^(٢) . ومعلوم أن عبد المطلب جد النبي ﷺ ، أي أن الشعر كان مزدهراً ومطلولاً في حياة النبي ﷺ .

ووالواقع أن ازدهار الشعر في عهد النبي ﷺ حقيقة لا تحتاج إلى كثير بيان ،

(١) شرقى ضيف : العصر الإسلامى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٤٢ .

(٢) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، مترجم سابق ، ص ٣٦ .

فالشعر يسلي على كل لسان من صحابة النبي ﷺ المؤذين له أو المشركين أعداء الإسلام ، ويكتفي أن نلقي نظرة على كتب مثل سيرة ابن هشام أو الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي أو الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني أو طبقات بن سعد وغيرها من الكتب التراثية الشاملة كالاغانى وخزانة الأدب وغيرها .

ولعل هذا يسلينا إلى قضية أخرى ساعدت على الظن بفكرة قلة الشعر وضعفه فنياً في عهد النبي ﷺ الا وهي :

موقف القرآن من الشعر

لو تبعنا لفظة الشعر والشعراء في القرآن الكريم لوجدنا أنها وردت في ستة مواضع ، في خمسة منها يحكي القرآن ما حاول كفار قريش أن يلصقوه برسول الله ﷺ من اتهامات باطلة وصفات طائشة كاذبة على رأسها وصف النبي بأنه شاعر .

١ - قال تعالى ﴿ بَلْ قَاتُلُوا أَصْنَافَاتٍ أَحَلَّمُرِيلُ الْقَرْأَءَ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلَيَأْتِيَ إِلَيْهِ كَمَا أُرْسِلَ الْأُوْلَئِنَةُ ﴾ [الأنبياء : ٥] .

٢ - ﴿ وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَتَبَيَّنُ لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ [آل عمران : ٦٩ ، ٧٠] . وتحقق القول على الكافرين ﴿ يَس : ٦٩ ، ٧٠] .

٣ - ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّا نَقَارُكُوا إِلَهُنَا شَاعِرٌ مُجْتَهِنٌ ﴾ [آل عمران : ٤١] بل جاء بالحق ومدح المرسلين ﴿ الصافات : ٣٦ ، ٣٧] .

٤ - ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرَصُّعٌ بِهِ رَبُّ الْمَتَّوْنِ ﴾ [الطور : ٣٠] .

٥ - ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تَصْبِرُونَ ﴾ [آل عمران : ٤١] وما لا تتصبرون ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَبِيرٍ ﴾ [آل عمران : ٤١] وما هو بقول شاعر قليلاً ماؤتمنون ﴿ الحاقة : ٣٨ - ٣٩] .

والمتأمل في هذه المواقع الخمسة التي أوردناها هنا يجد أنها جاءت لقصور موقف المشركين إزاء القرآن وتآثيره في النفوس ، ولتأكد لهم أن القرآن وسي من

عند الله منزل على رسوله محمد ﷺ ، فجميعها مسوقة لتنزيه الرسول ﷺ عن أن يكون من الشعراء الذين يبتدعون القول . فالقرآن في هذه الموضع لم يتحدث عن الشعر من حيث هو فن من القول يجوز للمسلم أن يتعاطاه أو يحرم ذلك عليه، وإنما جاء - كما أسلفنا - لتنزيه النبي والقرآن نفسه عن الشعر + لتأكيد حقيقة أهم وهي اختلاف القرآن عن كلام العرب من ناحية ونزوله من قبل الله تعالى على رسوله ﷺ من ناحية أخرى .

ولعل الموضع السادس الذي ذكر فيه لفظ الشعر في القرآن هو الذي أثار جدلاً أكبر حول انتصار الشعراء عن قول الشعر . قال تعالى ﴿ وَالشَّعْرُ يَبْيَهُمُ الْقَافُونَ ﴾ ألم تر أنهم في كلِّ وادٍ يبِيهُونَ ﴿٢٢٤﴾ وألَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْلُغُونَ ﴿٢٢٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آتَوْا وَعْدًا صَالِحًا وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَاتَّصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيِّطُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَبَّ يَنْقَبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٧] .

إن هذه الآيات جعلت ابن رشيد الاندلسي في كتابه « العمدة » يعقد فصلاً كاملاً تحت عنوان « باب في الرد على من يكره الشعر » أكثر في القول من كلام النبي ﷺ والصحابة والواقع التي تؤكد عدم كراهية الرسول ﷺ والعرب للشعر، غير أن أهم ما قاله في هذا الباب هو رده على من احتج بآيات سورة الشعراء الواردة أعلاه في كراهة الشعر من قبل الإسلام ، يقول ابن رشيق فاما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى ﴿ وَالشَّعْرُ يَبْيَهُمُ الْقَافُونَ ﴾ ألم تر أنهم في كلِّ وادٍ يبِيهُونَ ﴿٢٢٤﴾ وألَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْلُغُونَ ﴾ فهو غلط وسوء تأول ، لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله ﷺ بالهجاء ، ومسوه بالاذى ، فاما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ، الا تستثنهم الله عز وجل ونبي عليهم فقال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آتَوْا وَعْدًا صَالِحًا وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَاتَّصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ يريد شعراء النبي ﷺ الذين يتصررون له ، ويجيرون المشركين عنه ، كحسان بن ثابت وكمبوب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وقد قال فيهم النبي ﷺ « هؤلاء النفر أشد على قريش من تضيع البيل » وقال حسان

ابن ثابت : « أهجمهم - يعني قريش - فواه لهجاوكم عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام ، أهجمهم ومعك جبريل روح القدس ، والف آبا يكر بعلمك تلك الهنات » فلو أن الشعر حرام أو مكروره ما اتخد النبي ﷺ شعراً يبيهم على الشعر ، ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم . أما قوله ﷺ : « لأن يمتليء جوف أحذركم قيمًا حتى يربه خيراً له من أن يمتليء شعرًا » فإنما هو من غالب الشعر على قلبه ، وملك نفسه ، حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ، ومنته من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن . والشعر وغيره - مما جرى هذه المجرى من شططنج وغيره - سواء » ^(١) .

وإذا كان ابن رشيق من القدماء يؤكد هذا الموقف الإيجابي للقرآن الكريم من الشعر ، فإن الدكتور عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ - توكل بعد آخر في هذا الموقف الإيجابي للقرآن من الشعر ، فبعد أن تذكر لنا الكثير من الأدلة التقليدية والعقلية ما يؤكد عدم كراهية الإسلام للشعر ، تصل بنا إلى رأي جديد وهو أن الإسلام سما بدور الشاعر في الحياة الاجتماعية والسياسية مقارنة بدوره السابق في العصر الجاهلي ، تقول : « كان التطور الهام الذي حدث هو أن الإسلام أراد لشاعر القبيلة أن يصير شاعر الأمة ، فلم يهدى بهذا ذاتية الشاعر ، بل أراد لها أن ترحب فلا تعود محدودة ببطاق الأسرة والقبيلة ، ولم يصير الشاعر في الوضع الجديد داعية مأجوراً ، فما كان الرسول ﷺ ولا أحد من خلفائه رضوان الله عليهم يستبيح أن يفتح باب المسلمين للشعراء ثمّا لتأييدهم ، بل ما كان الرسول ولا أحد من خلفائه يعد هذا المال ملكاً له يتصرف فيه كيفما شاء ، وإنما هو مال المسلمينأمانة بين أيدي النبي والخلفاء الراشدين ، يتقون منه على خير الرعية ومصلحة الجماعة ، طبقاً لحدود الله » ^(٢) .

(١) ابن رشيق القمياني : العمدة ، دار الجليل للنشر والتوزيع والطباعة ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) عائشة عبد الرحمن : قيم جديدة للأدب العربي ، دار المعارف ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

إذن فالقرآن لم يحرّم الشعر ولم يحظر على كراهيته ، كل ما في الأمر أنه قد يميز بين فريقين من الشعراء ، فريق استغل فنه فيما ينافي هدي الدين وأدابه ، فهو الفريق المعيب الذي حاربه القرآن ، وفريق اتجه بشعره إلى العمل الخير الجميل ، وإلى نصرة الحق أتى وجد ، فهو الفريق الذي أخرجه من ذلك الوصف العام وأيده بكل قوّة »^(١) .

« والمتبوع موقف الإسلام من الشعر في عهد النبوة يجد أن الإسلام اتخذ من الشعر مواقف تسجم وطبيعة المرحلة التي شهدتها الدعوة ، فالملوّاقف الإسلامية لم تكن اعتباطية وعشوانية ، بل كانت منبقة من ظروف الدعوة نفسها »^(٢) . فيمكن أن نقول أن ثمة مراحل أو درجات في موقف الإسلام من الشعر ، ففي بداية الدعوة

١ - ذم الإسلام الشعر وهو من أقدار الشعراء ، حين كان الشاعر يهاجم الدين ، ويتنقص منه ، وحين كان المشركون يتهمون الرسول بأنه شاعر ، وبين قوله شعر .

٢ - اتخاذ الإسلام الشعر - بعد فترة من الدعوة - سلاحاً من أسلحة الحرب ، فأخذ يوجه الشعراء نحو الالتزام النسبي بقيم الإسلام وتعاليمه ، فشهر هؤلاء الشعراء المستهم يحاربون بها أعداء الإسلام من مشركي قريش ، كما سترى في رد حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم على الشعراء من مشركي قريش .

٣ - بعد فتح مكة والطائف ، أنهى الإسلام مهمته الحربية تقريراً واتّهى دور الشعر الهجاني أو دور الناقض الشعرية ، خاصة بعد دخول الناس في دين الله

= ص ٧٧ .

(١) د . سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، عالم المعرفة ، ع ٦٦ ، الكويت ، ١٩٨٣ ، ص ٤٥ .

(٢) د . فائز ترحيني : الإسلام والشعر ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٠ ص ٨٧ .

أفواجاً ، فلم يعد من المقبول إثارة الضغائن والاحقاد عن طريق الشعر ، ولذلك دخل الشعر مرحلة جديدة في أغراضه وموضوعاته .

والخلاصة : إن هذه المواقف كان لها أثراً في تطور شعر الدعوة في العهد النبوي وفيما بعد ، وعليه لا يمكن القول : « أن الدين الإسلامي قد نهى عن قول الشعر عموماً ، ولا يمكن القول أيضاً أنه شجع الشعر دون توجيه أو تهذيب » ، بل يجب أن ينظر إلى التهفي والتوجيه من منطلق الأحداث التي رافقته الإسلام ، وطبيعة الموقف والمراحل التي شهدتها الإسلام ، كما لا يمكن أن ينظر إلى الشعر بعزل عن تلك المواقف والمراحل »^(١) .

وهكذا بعد هذا العرض يمكن أن نقول أن الإسلام لم يكن حاثناً أبداً في وجه الشعر والشعراء ، بل شجع على قول الشعر وتوجيهه إلى دروب جديدة من القول ساعدت وقائع الدعوة برحابها المختلفة على طرقها ، ومن ثم ظهرت موضوعات جديدة ، وآفاق أرحب أمام الشعراء في عهد النبوة .

الرسول والشعر

نشأ النبي ﷺ وتربى في بيته كثر فيها الشعراء ، وكانت الشاعرية مصدر فخار للرجل منهم ، ومع ذلك لم يؤثر عنه أنه حاول قول الشعر لا قبل الرسالة ولا بعد تنازع نزولها . ومع ذلك حاول كفار قريش وصفه بأنه شاعر وأن القرآن الذي ينزل عليه ما هو إلا شعر ، قال تعالى على لسانهم « تل قلوا أصنفوا أحلام بلي القراءة بلي هُوَ شاعر » [الإنياء : ٥] ، وكان رد الله تعالى على هذه التهمة حاسماً « وَمَا عَلِمْنَاهُ شِعْرٌ وَمَا يَبْتَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ » [يس : ٦٩] .

إذن فقد نزه الله تعالى الرسول ﷺ عن قول الشعر أو محاولة تعلمه ، وليس ذلك لأن الشعر شبهة أو منقصة لا يجب أن يتحلى بها الرجل الفاضل أو الشريف ، ولكن لأن الله « بعث إليهم نبياً ولم يبعث لهم شاعراً » ، وأن هذا الذي

(١) يحيى الحوروي : الإسلام والشعر ، منشورات مكتبة الوفية ، بغداد ، ١٩٦٤ ، ص ٤١.

أنزله عليه وعلمه إياه هو القرآن الكريم المعجزة الكبرى التي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثلكه^(١). فلو كان الرسول شاعرًا ، لنسب العرب بلاغته وفصاحته وحجه التي استقامت من القرآن الكريم إلى ملكرة الشعر أو شيطان الشعر ، ولا يصحى الشك في القرآن - حسب رعهم - أقرب إلى معقولهم ، وكيف لا يزدادوا ضلالاً ويتمسكوا بحجتهم الخاطئة ، لم يربو الرسول بيت شعر كامل الروزن صبيحة ، وإذا أثر عنه بعض الآيات فهي أقرب إلى الشر منها إلى الشعر ، مثل قوله :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كاذبٌ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ

فهذا من الرجز ، ولا ينده علماء الشعر من الشعر ، ومع ذلك فقد أثر عن النبي ﷺ استماعه للشعر قبل بعثته وبعد البعثة بالطبع ، فقد شجع الشعراء المسلمين يستهض هممهم على قول الشعر الجيد ، بل كان يوجه الشعراء إلى أن يتمثلوا في شعرهم المفاهيم الإسلامية والقيم الجديدة ، والدليل على ذلك هنا العدد الكبير من الشعراء الذين التموا حول النبي ﷺ ودعوه ، حتى ليتجاور عددهم عند بعض الباحثين أربعون شاعراً ، وسيأتي في معرض ترجمتنا لشعراء النبي ﷺ معرفة كيف توفر حس نقدi نحو الشعر ، يقوم على الترجيح والتقويم للشعراء ، كذلك توفر دافعة نقدية للنبي ﷺ تميز جيد الشعر من رديته . وهذا يثير سؤالاً مهم : لماذا لم يقل الرسول ﷺ شعرًا ؟ يمكن أن نقول أن الموهبة الشعرية ليست من لوازم العظماء أو النبوة ، ولم يؤثر عن النبي سابق أنه كان شاعرًا ، ولا يضر النبي الا يكون شاعرًا ، غير أن هناك تفسيرًا آخر أورده أحد الباحثين الجادين ، ويرجع عدم قول النبي ﷺ للشعر بأن الله تعالى « صرفه » عن ذلك حكمة أرادها « ولعلنا نتلمس حكمته تعالى في صرف نفسه الشريفة عن قول الشعر بثلاثة أمور :

(١) د . عبد العزيز الدسوقي : محمد والشعر ، مجلة الهلال ، عدد أغسطس ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٩١ .

الأول : إن القرآن الكريم الذي نزل عليه أرفع من الشعر وأعلى بياناً وأجل قدرًا ، فما حاجة من ينزل القرآن عليه إلى قول الشعر ؟ إنه - بالقرآن - يكون قد تجاوز الشعر .

الثاني : إن المشركين والكافر اتهموا بأنه شاعر ، فمن البلاغة والحكمة في تفنيد تهمتهم أنه لا يقول الشعر باتفاق ، حتى إنه لم يكن يروي بياناً من الشعر إذا أراد أن يتمثل بمعناه ، إلا بعد أن يغير في ترتيب الفاظه ليلغى وزنه - كما قلنا سابقاً .

الثالث : إن الله تعالى هباه ليكون صاحب رسالة يقيم إيمانها للناس على مصادرتين : القرآن وحديث الرسول ، القرآن يضع المباديء والأسس والتفاصيل لأشياء أخرى ، ثم يترك تفصيلها لحديث الرسول ، ومن المعروف أن تفصيل الأشياء تفصيلاً جلياً ليست وسيلة الشعر وإنما وسيلة الترجمة ^(١) .

وإذا كان الله تعالى قد صرف نبيه الكريم ﷺ عن قول الشعر ، فإنه لم يصرف عن الاستماع للشعر والبحث عليه طالما كان يبحث على قيم الإسلام ويدافع عنه ، فالشعر هنا وسيلة تهدف إلى خدمة الرسالة .. ونظرًا لأهمية هذه الوسيلة وتأثيرها ، اتخذ النبي ﷺ حسان بن ثابت شاعراً وبنى له مثبراً في المسجد ينشد شعره من فوقه ، وقد ظل حسان ينشد الشعر من فوق هذا المثبر بعد أن انتقل الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى . وقد انضم إلى حسان بن ثابت شعراء آخرون - كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة - كان وقع شعرهم على كفار ومشركي قريش كموقع النبل كما أشرنا من قبل .

وقد كانت للرسول ملكة نقدية بحكم نشأته في بيته شاعرية ، وفضله وبلاغته التي تعلمها من القرآن الكريم ، إذ مكتنها هذه الملكة من تميز جيد الشعر

(١) عودة الله متبع القبسى : تجارب في النقد الأدبي التطبيقي ، دار البشير ، عمان ، ١٩٨٥ . من ٣٠ .

من رديه ، وتوجيهه وتقويم ما يلقى عليه من شعر . فعندما يسمع كعب بن مالك يقول :

مدافعنا عن جذمة كل فخمة مدربة فيها القوانس تلمع

يذكر عليه اتجاهه نحو العصبية القبلية ، التي هي من آثار الجاهلية ، ويطلب إليه أن يبدل كلمة « جذمنا » بكلمة « ديننا » ويفعل ذلك كعب .

وحين يقد النابعة الجعدي ويتشدد قوله :

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجْدُونَا إِنَّا لَنْرَجُوا فِرْقَ ذَلِكَ مَظَهِرًا

ويحسن النبي ﷺ بتوجيه الشاعر نحو الاسلوب الجاهلي في الفخر ، يقول له : « إلى أين يا أبا ليلى ؟ » فيقول النابعة : إلى الجنة . فيقول له النبي معتبرا بهذه الروح الجديدة : « إن شاء الله » . والأمثلة على ذلك كثيرة .

وقد عرف الشعراء بعد ذلك « ما للشاعر من تأثير في نفس النبي ﷺ وقلبه ، لذلك اتخذوا منه وسيلة يستشعرون بها عنده ، فكان يستجيب لهم ، فينصر مستنصرهم ويحيث مستحيثهم ، ويقبل من مقترفهم ويرق تلامذهم »^(١) . والأمثلة على ذلك كبيرة أيضاً ، وسيعرض ذلك في تراجم الشعراء .

ولخطورة الشعر وأثره في النفوس فقد نهى النبي ﷺ عن رواية بعض الأشعار ، « وهذه الأشعار لا تتجاوز نصين شعرين فقط ، هما قصيدة أمية بن أبي الصلت التي يرثي فيها من أصيب من قريش يوم بدر ، وهي في واحد وثلاثين بياناً . أما النص الثاني فهو قصيدة الأعشى في هجاء علامة بن علاء ومدح عامر بن الطفيلي والتي مطلعها :

عَلَقْتَ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرِ النَّاقِضِ الْأَوَّلَ وَالْوَاتِرِ^(٢)

كما أهدر دم بعض الشعراء من المشركين واليهود من حارب الإسلام بلسانه

(١) سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، مرجع سابق ، ص ٦٤ .

(٢) سامي مكي العاني : المرجع نفسه ، ص ٧١ ، ٧٢ .

وسلاحة ، مثل أبو عزة الجمحي وعصماء بنت مروان وكعب بن الأشرف اليهودي ، وغيرهم .

غير أن من تاب واعتذر عنا عنه النبي ﷺ قبل إسلامه ، ولعل المثل الأشهر في ذلك كعب بن زهير والحارث بن هشام بن المنيرة المخزومي .

وفي الختام نشير إلى أن النبي نفسه تحول إلى مصدر الإلهام للشعراء ، فالهمت شخصيته ودعوته مجموعة كبيرة من الشعراء لا في عصر صدر الإسلام فقط بل في كل العصور ، فاصبح المديح النبوى أحد أهم موضوعات الشعر العربي على مر العصور الأدبية .

وقد تناولنا في كتابنا هذا تراجم الشعراء الذين التقاوْا النبي ﷺ ودعوته ، فمدحوه أو رثوه أو دافعوا عن دعوته أو شخصه أو قيم الإسلام ومبادئه ، وقد رجعنا في ذلك إلى أمهات الكتب في التراث العربي ، وقد اشتغلنا في الشاعر من شعراء النبي ﷺ أن يكون معاصرًا له ، وأن يكون قد أنشد بين يديه شعراً ، أو أرسل إليه شعره فسمعه النبي ، ورثى النبي ﷺ إبان وفاته ، وأن يكون صحب النبي ﷺ مسلماً لم يرتد إلى الكفر أو الشرك . وعلى الله قصد السبيل .

الفصل الأول

[حرف الهمزة]

١. أبو ذؤيب الهدلي
٢. أبو سفيان بن الحارث
٣. أبو طالب بن عبد المطلب
٤. أبو قيس صرمدة بن أنس
٥. أبو مهجن الثقفي
٦. أروى بنت عبد المطلب
٧. الأعشى ميمون بن قيس
٨. أنس بن زئيم الكناني

أبو ذؤيب الهمذاني

اسمه خوبلد بن خالد ، وقيل خالد بن خوبلد ، أشهر وأشعر شعراء هذيل جاهلي إسلامي ، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره ، حضر وفاة النبي ﷺ ورثاء ، وتلمح في شعره بصورة عامة تأثيراً بالمعانوي والتقييم الإسلامي . وكان أبو ذؤيب مُقدماً على جميع شعراء هذيل بقصيدته التي يقول فيها :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تردد إلى قليل تفتئ

وهذا البيت من شعره المفضل الذي يربى فيه أبناءه الخمسة الذين أصيروا في عام واحد ، وقد تنبأ أبو ذؤيب بوفاة النبي ﷺ ، إذ يقول : يلغنا أن رسول الله ﷺ عليل ، فاستشعرت حزناً ويت باطول ليلة لا ينجاب ديجورها ، ولا يطلع نورها ، فظلت أقاسي طولها ، حتى إذا كان قرب السحر أغفست ، فهتفت لي هائف وهو يقول :

خطب أجل آنفع بالإسلام بين التخييل ومعقد الأطام

قبض النبي محمد فعيوننا تدري الدموع عليه بالسحاج

وعند ذلك وتب أبو ذؤيب من نومه فزعاً ، ثم أتى المدينة مسرعاً ، فوجد لها ضجيج كضجيج الحجيج - على حد قوله - إذا أهلوا بالإحرام ، فعلم أن رسول الله ﷺ قد قُبض ، فنهد الأحداث التي تلت الوفاة جمِيعاً ، وظل في المدينة حتى صلى على النبي ﷺ وشهد دفنه ، ثم بكى على قبره رائياً فقال :

لما رأيت الناس في عسلاتهم ما بين ملحد له ومُضمر

متادرين لشرجع باكفهم نص الرقاب لقد أليس أروح

فهناك صرت إلى الهموم ومن بيت

كشت لمصرعه النجوم ويدرهما

وتزعزعت آطام بطن الأبطح

ونخلتها خلوج خطب مفدى

ولقد رجرتُ الطير قبل وفاته يصايه ورجرت سعد الائج
وذجرت أن نعم الشجاع سائحاً متناهلاً في يقال الأبيح
وأنصرف بعد ذلك أبو ذؤيب إلى باديه ، فقام بها ، وظل بها حتى التده
عمر بن الخطاب للهجاء ، فلم يزل مجاهداً حتى مات بأرض الروم ، ودفن
هناك ، ويروى في ذلك أن أبي ذؤيب جاء إلى عمر بن الخطاب في خلافته فقال :
«يا أمير المؤمنين : أي العمل أفضل ؟ قال : الإيمان بالله . قال : قد فعلت .
فأي العمل بعده أفضل ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قال : ذاك كان على ،
فتوجه من قردة غارياً هو وبنته وابن أخيه أبو عبيد ، حتى أدركه الموت في بلاد
الروم . وقيل : إنه شعر بدنو أجله ، لابن أخيه قبيل وفاته مباشرة :
أبا عبيد رفع الكتاب واقترب الموعظ والحساب
وكانت وفاة أبي ذؤيب في خلافة عثمان .

وإذا كان أبو ذؤيب قد أسلم وهو شيخ كبير ، فالذى لا شك فيه أن قيم
الإسلام ومعانيه قد تسرت إلى شعره قبل أن يسلم ، وذلك لأن الإسلام في
صورة الوحي وحديث النبي ﷺ كان قد انتشر وعمّ أجزاء الجزيرة العربية ، وكان
الشware - وهم الطبقة المثقفة بها - أول من تأثر بهذه المعايير ، ولذلك نلمح أثر
هذه القيم والمبادئ الإسلامية في شعره بصورة عامة . ولعله من المفيد أن نذكر هنا
أبيات من قصيدة المشهورة التي يرثى فيها أبناءه الخمسة الذين أصيبوا في عام
واحد .

أَمِنَ المَنْوِي وَرِبِّهَا تَسْوَجُ
وَالدَّهْرُ لَيْسَ يَعْتَبُ مِنْ يَجْزُعُ
قَالَتْ أَمَّةُ ما تُلْسِمُكْ شَاجِبًا
مِنْذَ ابْتَلَتْ وَمِثْلُ مَالِكٍ يَنْفَعُ
أَمْ لَمْ جَنِيْكَ لَا يَلَامُ مُضْجِعًا
إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَلِكَ الْمُضْجَعُ
فَاجْبَهَا إِنْ مَا بِجَسْمِيْهِ أَوْدِيْ بِنِيْ
أَوْدِيْ بِنِيْ فَاقْعِدُونِيْ حَسْرَةً
بَعْدَ الرِّقَادِ وَعَبْرَةً لَا تُقْلِعُ

كحلت شوق فهـي عور تدمع
فتخرـمـوا ولكل جـنـب مـصـرـعـ
ولـاخـالـ آـنـي لـاحـقـ مـسـيـعـ
وـلـقـدـ حـصـرـتـ بـاـنـ اـدـافـعـ عـنـهـ
وـإـذـاـ الـنـيـةـ أـقـبـلـتـ لـاـ تـدـفـعـ
وـتـجـلـلـيـ لـلـشـامـتـينـ أـرـيـهـمـ
حـتـىـ كـانـيـ لـلـمـعـوـادـتـ مـرـوـةـ
وـالـدـهـرـ لـاـ يـقـيـ علىـ حـدـائـهـ
جوـنـ السـحـابـ لهاـ جـدـائـهـ أـرـيـعـ^(١)

والقصيدة طويلة نكتفي منها بهذه الآيات

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مجلـ ٤ ، مؤسـة التـارـيخـ العـرـبـيـ وـدارـ إـحـيـاءـ التـرـاثـ العـرـبـيـ ، بـيـرـوـتـ ، دـ . تـ ، صـ ٦٦ـ ، ٦٧ـ .

أبو سفيان بن الحارث

هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ ، وكان أخاً له من الرضاعة ، ارمضنهمما معاً حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية . كان أحد الصحابة الذين يشبهون النبي ﷺ .

وقد كان أبو سفيان بن الحارث من الشعراء المطبوعين على قول الشعر ، ولا غرو ، فقد كان أحد الشعراء الخمسة المشهورين في قريش ، الذي هجوا النبي ﷺ ووقفوا في وجه الدعوة الجديدة . وقد تولى حسان بن ثابت الرد عليه ، فهو المعنى بقول حسان :

الا ابلغ يا سفيان عني مُقلَّلة فقد برح الخفاف
هجوتَ محمداً فاجبَّ عنه وعند الله في ذلك الجراه
وستذكر الشعر كاملاً عن ترجمتنا لحسان بن ثابت.

أسلم أبو سفيان بن الحارث يوم فتح مكة قبل دخولها رسول الله ﷺ ، حيث لقيه هو وأبيه جعفر بن أبي سفيان بالأبواء فاسلموا ^(١) .

ويروي ابن إسحاق في السيرة النبوية قصة أخرى في إسلام الحارث ، فيقول : « وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية المغيرة قد لقيا الرسول ﷺ بنيق العقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتقا الدخول إليه ، فكلمته أم سلمة فهذا قاتلت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، قال : « لي حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال » فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بني له قال : والله ليائن لي أو لاخذن بيدي بني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما ثم أذن لهما فدخلاه عليه

(١) ابن عبد البر التميمي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (على هامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني) ، مجلد ٤ ، مصدر سابق ، ص ٨٤ .

وأسلمَ^(١)

وقد حسن إسلام أبو سفيان بن الحارث ، فيقال أنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ حياء منه ، وقد أورد لنا ابن هشام وغيره قصيدة أبي سفيان يوم أسلم ، وهو يوم فتح مكة ، حيث يجمع فيها بين الاعتزاز والتوقير للنبي ﷺ ، والإيمان برسالته فيقول :

لعمرك إني يوم أحمل راية
لتغلب خيل اللات خيل محمد
فهذا أولئي حين أهدى وأهتدى
لكل مدح الخيران أظلهم ليلة
هداي هاد غير نفسى ونالني
مع الله من طردت كل مطردة
أصد واتاي جاهدا عن محمد
وأدعى وإن لم انتسب من محمد
هم ما هم من لم يقل بهواهم
 وإن كان ذا رأى يلم ويقتد
أريد لارضيهم وكست بلاط
مع القوم ما لم أهدى في كل مقعد
قتل لتفيف لا أريد قتالها
وقل لتفيف تلك غيري أو عدي
فما كنت في الجيش الذي نال عامرا
وما كان عن جرئي لسانى ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة
نزاع جاءت من سهام وسرداء

قال ابن إسحاق : ذكر أنَّه عندما قال : « مع الله طرده كل مطردة » ضرب رسول الله صدره وقال أنت طرددتني كل مطردة .

أشرنا منذ قليل أنَّ أبي سفيان بن الحارث حسن إسلامه ، وأنَّه لم يكن يرفع رأسه في وجه النبي ﷺ حياء منه ، ولعل الدليل على حسن إسلامه اشتراكه في وقعة حنين ودفاعه المجيد عن النبي ﷺ في تلك الوعرة ، ومن شعره في يوم حنين :

إن ابن عم المرء من أعمامه بني أبيه قوة من قدامه
فإن هذا اليوم من أيامه يقاتل الحرمي عن آخراته
يقاتل المسلم عن إسلامه^(٢)

(١) ابن هشام المعافري : السيرة النبوية ، مجلد ٢ ، دار المنار ، القاهرة ، ص ٢١١ ، ٢١٢ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، مصدر سابق ، ص ٩٠ .

وعلى الرغم من قلة شعر أبي سفيان بن الحارث بعد إسلامه ، إذا لم يصلنا إلا القليل ، فإن قصيده في رثاء النبي ﷺ تدل دلالة كبرى على صدق إسلامه وعمق إيمانه وجه الصادق للنبي ﷺ . يقول في رثاء النبي ﷺ :

أرقتُ فبات ليلي لا يزولُ وليل أخي المصيبة فيه طولُ
فاسعدني البكاءُ وذاك فيما أصيَّ المسلمين به قليلُ
لقد عظمتْ مصيَّتنا وجلتْ عشية قيل قد قبض الرسولُ
وأضحتْ أرضتنا مما عراها تقاد بنا جوانبها غليلُ
فقدنا الوحي والتزليل فيما يروح به ويغدو جبريلُ
وذاك أحق ما سالت عليه نفوسُ الناس أو كادت تسيلُ
نبيُّ كان يجلو الشك عنا بما يوحى إليه وما يقولُ
ويهدينا فلا تخشى ضلالاً علينا والرسولُ لنا دليلُ
أفاطم إن جزعت فذاك عذر وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فتبر أليك سيدُ كل قبر وفيه سيدُ الناس الرسولُ
ولأبي سفيان بن الحارث أبيات في الفخر يذكرها ابن عبد البر ، تدل على

قوة شعره ، حيث يغفلها روح جاهلية ، يقول :

لقد علمتْ قريش غير فخرٍ يأتى تحنُّ أجودهم حساناً
وأكثرهم دروعاً سابقاتِ وأمضاهم إذا طعنوا سنانًا
وأذقهم لدى الضراء عنهم وألينهم إذا نطقوا لسانًا
وحسب أبو سفيان بن الحارث بعد ذلك ، أنه كان من القلة التي دافعت عن
الرسول ﷺ يوم حنين ، فلم يجبن ولم يهرب ، وثبتت في القتال حتى منَّ الله
على المسلمين بالنصر . أما وفاته فقيل سنة خمس عشرة في خلافة عمر بن
الخطاب ، فصَّلَى عليه ، ويقال سنة عشرين .

أبو طالب بن عبد المطلب

« هو أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، عم رسول الله ﷺ شقيق أبيه ، اشتهر بكنيته ، واسمه عبد مناف على المشهور ، وقيل عمران ، وأكثر المتقدمين على أن اسمه كنيته ، ولد قبل النبي ﷺ بخمس وثلاثين سنة .

تولى أبو طالب رعاية الرسول ﷺ بعد وفاة عبد المطلب ، فكتله وأحسن تربيته وسافر به صحبته إلى الشام وهو شاب ، وما بعث الرسول ﷺ نبياً قام في نصرته ، وذبَّ عنه من عاده ومدحه عدة مداHugh « (١) .

وأبو طالب بن عبد المطلب أحد شعراء مكة المعدودين ، وصفة ابن سلام الجمحي في عداد شعراء القرى ، وقال عنه : « وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام ، أربع ما قال قصيدة التي مدح فيها النبي ﷺ » (٢) .

ولا خلاف عند القدماء والمحديثين في شاعرية أبي طالب وبراعته في الشعر ، وإنما الخلاف على كثرة الشعر المنسب إليه وبخاصة في سيرة ابن إسحاق ، فقد حذف ابن هشام منه الكثير لشكه فيه . والواقع أنه إن لم يكن لأبي طالب إلا قصيدة اللامية التي مدح بها النبي ﷺ لكتفه ، والتي منها قوله :

وأيضاً يستثنى الغمام بوجهه ربيع البتامي عصمة للارامل

وهي القصيدة التي استحسنتها ابن سلام وأورد منها البيت السابق ، وأشار أن الرواة زادوا فيها ، أما ابن هشام فقد أوردتها في أربعة وتسعين بيتاً ، وعلق بعد روایتها بتمامها قائلاً : « هذا ما صح لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر يذكر أكثرها » (٣) .

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تميز الصحابة ، مجل ٤ ، مصدر سابق ، ص ١١٥ .

(٢) ابن سلام الجمحي : طبقات قحول الشعراء ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٢٤٤ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، مجل ١ ، مصدر سابق ، ص ١٤١ .

ويستحق أبو طالب بن عبد المطلب أن يتصف بشاعر النبي ﷺ لأنه يُعد أول من مدح النبي ﷺ ، فقد قال أول قصائده في النبي ﷺ يدافع فيها عنه في وجه قريش ، مرتكزاً في مدحه على أساس قيمة بدوية خالصة هي قيمة النسب الكريمة ، يقول :

إذا اجتمعت يوماً قريشُ المفتر
فعبدٌ منافٌ سرُّها وصميمُها
وإن حصلت أشراف عبد منافها
ففي هاشم أشرافها وقد يديها
وإن فخرت يوماً فإنَّ محمدًا
هو المصطفى من سرٍّ وكربيها
تداعت قريش غنائمها وسميتها
عليها فلم تغفر وطاشت حلوتها
وكنا قد يألا نُقرُّ ظلامة
إذا ما ثقوا صغر الحدود تقيمها
ونجمي حجاها كلَّ يوم كربلة
ونصرت عن أحجارها من برومها
بنا انتقض العود الزواه وإنما
ياكنا فتنا تندى وتتنمى أروها
وعندما اتسعت دائرة الخلاف بين زعماء قريش من جهة وبين الرسول ﷺ من
جهة أخرى ، وقف أبو طالب في جانب ابن أخيه وقفه رجل كريم ذي مروة ،
وشاعر يليغ مدافعاً بالقول والعمل ، إذ رفض تسليم محمد ﷺ لزعماء قريش ،
ومخداهم ومدح ابن أخيه ، وذلك في قصيدة المشهورة التي استحسنها كما أشرنا
آئتها ابن سلام الجمحي . والقصيدة طويلة ، ستورد مدحه لشخصية النبي ﷺ ، حيث
يزوج فيها بين قيم المدح الجاهلية وقيم المدح الإسلامية ، فيعرف بنبوة محمد
ﷺ ويشير إلى علاقته ﷺ بالله الذي لا يغفل ، ويؤكد تأييد الله ونصرته لنبيه :

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد
واخوتة دأب المحبِّ المواصل
وزينا لمن والاه ربُّ المشاكل
فلا رال في الدنيا جمالاً لأهلها
فمن مثله في الناس أيُّ مؤمل
إذا قاسهُ الحكم عند التناقضِ
حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غير طائشٍ
يروالي إليها ليس عنه بعاقفٍ
فوالله لولا أنْ أجيء بستة
تحبر على أشياخنا في المحافلِ
لكنا اتبعناه على كلِّ حالةٍ

لقد علمنا أن ابتنا لا مكذبْ^{*}
لدينا ولا يُعْنِي بقول الأباطل
فأصبح فينا أَحْمَد في أرومة
نقسر عنها سورة المطافول
حَدَّيْتُ بِنَفْسِي دُونَه وَحْمِيَّه
وَدَافَعْتُ عَنْه بالثُرَا والكلالكلي
فَائِدَه رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصِيرِه
وَاظْهَرَ دِينًا حَقَّهُ غَيْر باطل

وعلى الرغم من أن آبا طالب لم يُسلِّم ، فإنه يُعد من أول من دافع عن النبي ﷺ ، وخاصة في مرحلة ما قبل الهجرة .

ولا يعنيها هنا ما أثير حول مسألة إسلام أبي طالب وهل مات على الشرك أم مات مسلماً ؟ ولكن الذي يعنيها هنا شعره الذي ساند به محمدَ ﷺ ودعوه ، فشمسة يبيان بعدهما يعدهما البعض دليلاً على أنه مات مسلماً ، يصرح فيما بنيته ، وبأن دينه خير أديان البرية :

وَدَعَوْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنْكَ صَادِقٌ وَلَقَدْ صَدَقْتَ فَكَنْتَ قَبْلَ أَمِنَا
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ خَيْرُ أَدِيَانِ الْبَرِّيَّةِ دِينًا^(١)

والذي تركنا إليه ونظممنا أن تصريح أبي طالب بنبيه محمدَ ﷺ بالرغم من كفره كان بثانية المؤذنة له وتفوية جانبه في وجه أعداء الدعوة ، فقد قال في أبيات أخرى غير هذين البيتين ، يوجه فيها الحديث مباشرة إلى كفار قريش وأعداء الدعوة :

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْتِنَا
لَوْيَا وَخُصْنَا مِنْ لَوْيَ بْنِي كَعْبَرِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا
نَبِيًّا كَمُوسِى خُطَّافَ فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ
وَإِنْ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ مَجْهَةٌ
وَلَا خَيْرٌ مِنْ خَصْبَةِ اللَّهِ بِالْحَبْ

ولما كان أبو طالب عم رسول الله ﷺ رجلاً مهيباً ذات مكانة رفيعة في المجتمع

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مصدر سابق ، ص ١١٦ .

المكيّ ، فإن وقع هذه الآيات على قريش كان مؤلماً ، فاعلانه صراحة الاعتراف
بنبوة محمد ﷺ يعد ضربة قاسمة لأعداء الدعوة المحمدية . هذا من ناحية ،
ومن ناحية أخرى لعل هذا المدح قد مورن علي النبي ﷺ ببعض ما لاقاه من أعداء
الدعوة الذين كتبوه واتهموه بالكذب ، من هنا كانت أهمية هذا الشعر الذي نظمه
أبو طالب عم النبي ﷺ خير المسلمين .

أبو قيس صرمة بن أنس

هو أبو قيس صرمة بن أنس من بني عدي بن النجار ، كان في الجاهلية من المتحفرين ويدرك أنه ترهب واتخذ معبداً له ، وكان لا يدخل بيته فيه جنب ولا حانص ، وكان معظماً في قومه ^(١) . عاش ما يقرب من مائة وعشرين عاماً . وتروى عنه أشعار قالها في الجاهلية يحصن فيها على الخير والتقوى وأعمال البر ، فلما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم وحسن إسلامه . ومن شعره الذي يذكر فيه ما أكرم به قومه من نعمة الإسلام وما خصهم الله به من نزول الرسول ﷺ عليهم :

ثوى في قريش يضع عشرة حجة يذكر لو يلقي صديقاً مُؤاتيا
ويعرض في أعلى المواسِم نفَسَه فلم يرَ مَنْ يتوَوَّي ولم يرَ داعِيَا
فَلَمَّا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ فَاصْبَحَ مَسْروراً بِطِبْيَةِ رَاضِيَا
وَالَّقِي صَدِيقاً وَاطْمَأَنَتْ بِهِ التَّوْى يَقْصُّ لَنَا مَا قَالَ نَوْحٌ لِقَوْمِهِ
وَكَانَ لَهُ عَوْنَا مِنَ الْهَادِيَا يَقْصُّ لَنَا مَا قَالَ نَوْحٌ لِقَوْمِهِ
فَاصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَةً بِذَلِكَ لَهُ الْأَمْوَالُ مِنْ جُلَّ مَا لَنَا
وَأَنْفَسَتَا عَنْدَ الْوَغْنِيِّ وَالْتَّاسِيَا وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ
نَهَادِيُّ الَّذِي عَادَنِي مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْجَيْبُ الْمُصَافِيَا
أَتَوْلُ إِذَا أَدْعُوكَ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ تَبَارَكْتَ قَدْ أَكْتُرْتُ لَاسْمَكَ دَاعِيَا
وَالْمَتَامِلُ فِي الْأَيَّاتِ السَّابِقَةِ - عَلَيِ الرَّغْمِ مِنْ إِسْلَامِ صَاحِبِهَا وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ -
يَجِدُ فِيهَا صَدِيقاً وَمَعْنَانِي وَقِيمَ الْإِسْلَامِ وَاضْحَاهَهُ ، وَلَعِلَّ هَذَا يَرْجِعُ - فِي رَأْيِنَا - إِلَى
صَدْقِ إِسْلَامِ أَبْوَ قَيسٍ مِنْ نَاحِيَةِ وَإِلَى تَحْنِفَةِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى ، فَمَعْلُومٌ
أَنَّ تَعَالَيَّمُ الْخَيْفَيَّةَ لَا تَخْتَلِفُ فِي جَوْهِرِهَا عَنْ تَعَالَيَّمِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْخَيْفَ .

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ١٨٣ .

ويؤكد رأينا هذا ما ورد من شعره الذي قاله في الجاهلية ، حيث تظهر فيه الكثير من المعاني والقيم التي رسختها الدعوة المحمدية فيما بعد ، فهو القائل .

يقول أبو قيس وأصبحَ غادياً الاما استطعتم من وصاتي فاقعلوا
أوصيكم بالله والبر والتقوى وأغراضكم والبر بالله أول
إن قومكم سادوا فلا تحسدتهم وإن كنتم أهل الإياسة فاعدولوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم فانشكم دون التنبية فاجعلوا
وإن ناب غرم فادح فارقوهم وما حملوكم في الملمات فاحمليوا
وإن أثتم امعرتهم فعنقنا وإن كان فضلُ الخيرِ فيكم فانضلوا (١)

فمثل هذه الوصايا الواردة في الآيات السابقة ، كالبر والتقوى وعدم التحاسد والعدل والصبر والتجدد والمعفة والجلود ، كلها قيم وشميم لا تعارض وتعاليم الإسلام .

وقد روى شعر أبو قيس بعد دخوله الإسلام فأصبح لينا سهلاً ، الواقع أن أبي قيس صرمة بن أنس يعد مؤرخاً وناظماً لميادين الإسلام في شعره ، وذلك لما قلنا آنفاً أنه كان قد تمثل الإسلام في صدره قبل أن يلقى النبي ﷺ ويعمل إسلامه ، يقول أبو قيس صرمة بن أنس رضي الله عنه :

سَبَحُوا اللَّهُ مُشْرِقَ كَلِيْ صَبَاحَ طَلَعَتْ شَمْسُ وَكَلَ هَلَالُ
عَالَمُ السَّرُّ وَالبَيَانُ لَدِيْنَا لِيْسَ مَا قَالَ رَبُّنَا بِضَلَالٍ
وَلَهُ الطَّيْرُ تَسْرِيدُ وَتَأْوِي فِي وَكُورٍ مِنْ آتِيَاتِ الْجَيَالِ
وَلَهُ الْوَحْشُ بِالْفَلَاهَ تَرَاهَا فِي حَقَافٍ وَفِي ظَلَالِ الرِّمَالِ
وَلَهُ هُوتَتْ يَهُودُ وَدَانَتْ كُلُّ دِيْنٍ إِذَا ذَكَرْتَ عُصَالَ
وَلَهُ شَمْسَ النَّصَارَى وَقَامُوا كُلُّ عَيْدٍ لِرَبِّهِمْ وَاحْتَفَالٍ

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، بيج ١ ، مصدر سابق ، ص ٢٧٣ .

وله الراهبُ الحبيسُ تراثٌ
رهن بوسٍ وكان ناعمَ البالِ
يا بنيَ الأرحامَ لا تقطعنُوها
وصلُوها قصيرةٌ منْ طوالِ
وأنقوا الله في ضياعِ اليتاميِ
ربما يُستحلِّ غيرُ الحالِ
واعلموا أنَّ لليتيمِ ولِيَ
عاماً يهتدي بغيرِ السؤالِ
ثمَّ مالَ اليتيمُ لا تأكلوهُ إنَّ مالَ اليتيمِ يرعاهُ واليِ
يا بنيَ التخومَ لا تخذلُوها إنَّ خزَلَ التخومُ ذو عُقالِ
يا بنيَ الأيامِ لا تأمُنُوها واحذرُوا مكرها ومرِّ اللياليِ
واعلموا أنَّ مروها لنفاذِ الخلقِ ما كانَ منْ جديدهِ وبالِ
واجتمعوا أمرُكُمْ على البرِّ والتقدِّمِ وتركِ الحقَّ وأخذِ الحالِ
والقصيدة على طولها تكاد تكون نظماً بسيطاً للمعاني والتعاليم الإسلامية ،
ومن هنا عدتنا أبا قيس صرمة بن أنس أحد أبرز شعراء الدعوة المحمدية ، لأنَّ
مثل هذا الشعر البسيط كان بمثابة الدعاية المنظمة الإسلامية .

أبو محجن الشفقي

هو عمرو بن حبيب الشفقي ، وأبو محجن كنيته ، فارس وشاعر له صحبة بالنبي ﷺ ، كان مستهتراً بالشراب ، كثير القول فيه ، فحدّه عمر بن الخطاب مرات ، ثم أخرجه إلى العراق ، فشرب به ، فصرمه سعد بن أبي وقاص ، وسجنه في قصر العذيب ، وكان سعد مريضاً في القصر ، فأقام المسلمون في حرب القادسية أيامًا ، ووجهت الأعلامُ قوماً إلى القصر ليأخذوا من فيه ، فاحتال أبو محجن حتى ركب فرس سعدٍ عن غير علمه ، وخرج ، فأوقع بهم ، ورأه سعد ، فلما انصرف بالظفر خالي سبيله وقال : لا أضرتك بعدها في الشراب ، فقال : فلاني لا أذوقها أبداً .

وأبو محجن شاعر مجيد له أبيات جياد تدل على قوة شاعريته ، ومن أشهر أبياته :

لا تسأل الناسَ عن ملي وكثرتهُ وسائلَ القومَ عن جودي وعن خلفي
اعطى السنانِ غدَةَ الرُّوعِ حصتهِ وعاملَ الرُّمعِ أدويهِ من العلقِ
والقومَ أعلمُ أني من سرائهمْ إذا سما بصر الرُّعديدةِ الفرقِ
ويكاد ينحصرُ شعرُ أبي محجن قبل الإسلام في الخمر ، فتجده يمدحها
ويصفها ، ولكنه بعد الإسلام يذمها ، ويعيننا هنا أن نورد قوله التالي ، حيث
نرى آثر القرآن الكريم :

رأيتَ الخمرَ صالحةً وفيها مناقبَ تهلكُ الرجلَ الحكيمَا
فلا واللهِ أشربها حياتي ولا أشفى بها أبداً سقينا
ولعل أبي محجن قد استنى معنى البيت الأول من الآية الكريمة : «سَأَلَنَا
عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِنَّمَا تَكِبَرُ وَمَنَعَ لِلنَّاسِ إِنْتَهُمَا أَكْبَرُ مِنْ ثَقْبِهِمَا»
[البقرة: ٢١٩] كما أنه يستفي معنى البيت الثاني من قوله تعالى «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ

أَنْ يُرْقِعَ يَتَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْيَقْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ [المائدة: ٩١].
ويعلن أبو محجن توبته النصوح عن الخمر في الآيات التالية ، ولعله قالها
بعد معركة القادسية التي أبلى فيها بلاءً حسناً :

أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ الرَّحِيمِ فَإِنَّهُ غَفُورٌ لِذَنْبِ الْمُرِّ مَا لَمْ يَعَاوَدْ
وَلَسْتُ إِلَى الصَّهَباءِ مَا عَشْتُ عَانِدًا وَلَا تَابِعًا قَوْلَ السَّفِيهِ الْمَعَانِدِ
وَكَيْفَ وَقَدْ عَطَيْتِ رَبِّي مَوَاتِنًا أَعُودُ لَهَا وَاللَّهُ ذُو الْعَرْشِ شَاهِدِي
سَائِرَكُهَا مَذْمُومَةً لَا أَذْوَقُهَا وَإِنْ رَغَمْتُ فِيهَا أَتُوفُ حَوَاسِدِي

ونختتم هذه العجالة عن أبي محجن بقوله في الجihad ، فقد شارك في معركة
القادسية مع سعد بن أبي وقاص ، كما أشرنا سابقاً ، فقد كان محبوباً أثناء
احتدام المعركة ، فتوسل إلى سلمي زوج سعد أن تطلقه على أن يعود إلى قيده
بعد المعركة فأطلقته وأبلى فيها بلاءً حسناً ، ثم عاد إلى سجنه ، يقول :

لَقَدْ عَلِمْتُ ثَيْفَ غَيْرِ فَخْرٍ بَاتَّا نَحْنُ أَكْرَمُهُمْ سَيِّفُهَا
فَإِنْ أَحْسَنْ فَقَدْ عَرَفُوا بِلَانِي وَإِنْ أَطْلَقْ أَجْرَعُهُمْ حَتَّوْفَا

أروى بنت عبد المطلب

هي أروى بنت عبد المطلب بن هاشم الهاشمية ، عمة رسول الله ﷺ .
 أسلم طلبيب بن عمير في دار الأرقم ثم خرج ، فدخل على أمه وهي أروى بنت عبد المطلب ، فقال : تبعت محمداً ، أسلمت الله . فقالت أمه : إن أحق من وازرت وغضبت ابن خالك ، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لمنعناه وذينا عنه ، قالت : يا أمه فما يمنعك أن تسلمي وتتبعيه ؟ فقد أسلم آخرك حمزة ، فقالت : انظر ما تصفع أخواتي ثم أكون إحداهن ، قال : قلت : فإني أسأل الله إلا آتيه فسلمت عليه وصدقني وشهدت أن لا إله إلا الله فقالت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، ثم كانت بعد ذلك تعصى النبي ﷺ بسانها ، وغضبت ابنتها على نصرته والقيام بأمره . وقول ابن سعد تعصى الرسول ﷺ بسانها يعني : قول الشعر في رعمنا .

وقد وصلنا من شعرها ما قالته في رثاء النبي ﷺ عقب وفاته ، مثل قوله:
 لا يا عين ! ويحكِ أسعديني بدمعكِ ما بقيتِ وطاوعيني
 لا يا عين ويحكِ واستهلي على نورِ البلاد وأسعديني
 فإن عَالَّك عَالَّة فقولي علامَ وفيَّ ويحكِ تعذُّّيني ؟
 على نورِ البلاد مَا جميَّا رسولَ اللهِ أَحَمَّ فاتركيني
 فَلَا تُقْصِرِي بالعذلِ عنِّي فلومي ما بدا لكَ أَوْ دَعَّيني !
 لأمِّي هَلَّتِي وأَذْلَّتِي وشَبَّيْتِي بعدِ جدتها فُرُونِي (١)

ولأروى بنت عبد المطلب أبيات أخرى رثت بها النبي ﷺ أيضاً ، وقد أوردها ابن سعد في طبقاته الكبرى ، وهي مثل الآيات السابقة تظهر فيها قوة العاطفة وصدقها ، حيث تُمزج العاطفة الدينية بعاطفة القرابة والنسب :

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٥ م ، ص ٣٢٥ .

الا يا رسول الله كنت رجاءنا
وكتبنا بنا رؤفا رحيمها نبينا
لبيك عليك اليوم من كان باكيها
لعمرك ما ابكي النبي لموته
كان على قلبي للذكر محمد
وما خفت من بعد النبي المكاريا
أناطم صلى الله رب محمد
علي جديت أمس بيترث ثاريا
أبا حسن فارقه وتركته
قبلك يحزن آخر الدهر شاجيا
وعصمتني وقضى قصرة ثم خالي
صبرت وبلغت الرسالة صادقا
وقفت صليب الدين أبلغ صافيا
فلو ان رب الناس أبكاك يبتنا سعدنا ولكن أمننا كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنان من العدن راضيا^(١)

(١) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

الأعشى ميمون بن قيس

هو سعد بن خبيرة بن قيس ، وكان أعمى ، ويكنى أبا بصير ، وكان أبوه قيس يُدعى قيل الجروع ، وذلك أنه كان في جبل قددخل غاراً فوقعت صخرة من ذلك الجبل ، فسدت فم الغار ، فمات فيه جوعاً .

وكان جاهلياً قدماها ، وأدرك الإسلام في آخر عمره ودخل إلى النبي ﷺ ليسلم ، فقيل له : إنه يحرم الحمر والزنا ، فقال : أقتنع منها ستة ثم أسلم ، فمات قبل ذلك بقرية اليمامة . وقيل : إن شروجه يريد النبي ﷺ كان في صلح الحديبية ، فسأله أبو سفيان بن حرب عن وجهه الذي يريد ؟ فقال : أريد محمداً ، فقال أبو سفيان : إنه يحرم عليك الحمر والزنا والقمار ، فقال : أما الزنا فقد تركني ولم أتركه . وأما الحمر فقد قضيت منها وطراً ، وأما القمار فعلى أصيبي منه خلطاً ، فقال : فهل لك إلى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : بيتنا وبينه هذهن ، فترجع عاملك هذا وتأخذ مائة ناقة حمراء ، فإن ظهر بعد ذلك أتيته ، وإن ظفرنا به كنتم قد أصبحت عوضاً من رحلتك ، فقال : لا أبالي . فانطلق أبو سفيان إلى منزله وجمع له أصحابه ، وقال : يا معاشر قريش ! هذا أعشى قيس وقد علمتم شعره ، ولشن وصل إلى محمد ليضررين عليكم العرب قاطبة بشعره ، فجمعوا له مائة ناقة حمراء ، فانصرف ، فلما صار ناحية اليمامة لقاء بغيره قتله .

ويسمى : صناعة العرب ؛ لأنه أول من ذكر الصنبح في شعره فقال :

وَسْتَجِيبُ لِصَوْتِ الصَّنْبَحِ تَسْمَعُ إِذَا تُرْجَعُ فِي الْقِيَةِ التَّضَلُّ

ولد باليمامة في قرية تدعى «منفحة» أغلق المؤرخون والرواية تاريخ ولادته ، ولم يذكروا شيئاً عن نشأته أو شبابه ، لقب بالأعشى لضعف بصره ، ولكن العشا لم يقتصر على هذا الأمر ، بل أدى في النهاية إلى انطفاء النور في مقلبيه .

وقد زعم الأب لويس شيخو أن الأعشى من شعراء النصرانية قبل الإسلام ،

وذلك لورود بعض الإشارات إلى التصريانية في أخباره وشعره ، وهي في الواقع ليست بأدلة قوية ، غير أن الذي لا مراء فيه أنه رحل يريد النبي ﷺ حين ظهر الإسلام ، وإن لم يسلم ، حيث صدته قريش عن موافاة النبي ﷺ ، غير أنه كان قد جهز قصيدة دالية لمدح النبي ﷺ ، قال هشام بن القاسم الغنوبي وكان علامة بأمر الأعشى : « أنه وفد إلى النبي ﷺ وقد مدحه بقصيده التي أولها :

الْمَ تَنْتَضِعُ عَيْنَكَ لِيَةً أَرْمَدًا وَعَادِكَ مَا عَادَ السَّلِيمُ السَّهَدَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النَّاسِ إِنَّمَا تَنَسِّيَتْ قَبْلَ الْيَوْمِ خَلْتَ مَهْدَدًا
وَفِيهَا يَقُولُ لَنَّا تَهْ :

فَأَكَبَتُ لَا أَرْتِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَتَّى حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّداً
نَبِيٌّ يَرِي مَا لَا تَرَوْنَ وَذَكْرُهُ أَغَارُ الْعُمْرِ فِي الْبَلَادِ وَأَنْجَدَهُ
مِنْ مَا تَنَاهَى عَنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ تِرَاحِي وَتَلَقَّى مِنْ فَوَاصِلِهِ يَدَا
غَيْرُ أَنْ قَرِيشَ صَرَفَهُ عَنِ الرَّوْصَدِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَمِنْهَا أَيْضًا :

لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تَغْبُ وَنَائِلُ وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعٌ غَدَا
أَجَدَكَ لَمْ تَسْعُ وَصَاءَ مُحَمَّدٌ نَبِيُّ الْإِلَهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْجِلْ بِزَادٍ مِنَ الْقُقُولِ وَلَاقِتَ بَعْدَ الْمُوتِ مَنْ قَدْ تَرَوْدَأَ
تَنَدَّتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَيْثِيرٌ وَاتَّكَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَأَ^(١)

وستلاحظ أن الأعشى منثراً بالقرآن الكريم والمعاني الإسلامية في هذه القصيدة ، وكأنه تشرب مبادئ الإسلام وأمن به حقاً . وثمة قصيدة على قافية الياء في آخر ديوان الأعشى ، رواها أبو عمر الشيباني وهو ثقة ، غير أن محقق الديوان يرى أنها ليست للأعشى لأسباب منها : أنها ركيكة ، ضعيفة النظم ، وألفاظها غريبة على الأعشى . نقتطف منها الآيات التالية :

(١) الدكتور حنا نصر الحق : شرح ديوان الأعشى الكبير ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٩٢ ، ص ١٠٢ .

سأوصي بصيرًا إن دنوتُ من البَلَى
وكلُّ أمرٍ يَوْمًا سيصبحُ فَائِتاً
وانْتَقِي الرَّحْمَنَ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ
فَصَبِرْ إِذَا تَلَقَى السُّحَاقَ الْغَرَابِيَا
ورِبِّكَ لَا تُشَرِّكَ بِهِ إِنْ شَرِّكَهُ
يَحُطُّ مِنَ الْخَيْرَاتِ تَلَقَّ الْبَوَاقِيَا
بِلَّهُمَّ فَاعْبُدْ لَا شَرِّيكَ لِرَوْجِيهِ
يَكُنْ لَكَ فِيمَا تَكْدِحُ الْيَوْمَ رَاعِيَا^(١)

والقصيدة طويلة تصل إلى ثمانية عشر بيتاً ، وتسير كلها على هذا التوال في نظم المعاني الإسلامية شعراً . وكانت وفاة الأعشى في العام السابع للهجرة ، أي في سنة ٦٢١ م ، بعد أن صدته قريش عن موافاة النبي ﷺ .

(١) الدكتور حنا نصر المحتي : المصدر نفسه ، ص ٣٧٣ .

أنس بن زنيم الكناني

هو أنس بن أبي أنس بن زنيم الكناني ، من كنانة من الدول رهط أبي الأسود الدؤلي ، وكان أعزور ، وأبيه أنس بن زنيم ، شاعر شريف ، وعمه سارية بن زنيم الذي ناداه عمر بن الخطاب من فوق المبر :
يا سارية الجبل .. الجبل .

أسلم أنس بن زنيم يوم فتح مكة ، وكان من قبل إسلامه أحد الشعراء الذين هجروا النبي ﷺ ، غير أنه لم يكن له شهرة ابن الزعري ورهط شعراء قريش المعادين للدعوة المحمدية . ومع ذلك فإن أنس بن زنيم صاحب أصدق وأشهر بيت قيل في النبي ﷺ ، وهو قوله :

فما حملت من ناقة فوق رحلكها أبْرَ وأوْقَى ذمَّةً من محمدٍ

وتجمع المصادر في قصة إسلامه أنه لما قدم وقد خزاعة يستنصرون النبي ﷺ ، أخبر عمرو بن سالم الخزاعي زعيم الوفد وشاعرهم النبي ﷺ أن أنس بن زنيم هجاه ، فاهمد النبي ﷺ دمه ، فلما بلغ ذلك الأمر أنس بن زنيم أسرع إلى النبي ﷺ متذرًا ، وقد وسط نوقل بن معاوية الديلي ، فكلم النبي ﷺ فيه ، قال نوقل للنبي ﷺ : أنت أولى بالعفو ، ومن منا لم يؤذك ولم يعادك ، وكنا في الجاهلية لا ندرى ما تأخذ وما تدع ؟ حتى هدانا الله بك ، وانقلنا من الهلاكة ، فقال النبي ﷺ : « قد عقوبت عنه » .

فقال نوقل : فذاك أبي وأمي .

وعند ذلك تقدم أنس بن زنيم من النبي وأشده قصيده :

أنت الذي تُهَدِّي مَعَهُ بَارِهِ بِلَ اللَّهِ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهَدُ
وَمَا حَمَلْتَ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلَهَا أَبْرَ وأَوْقَى ذمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ

أحث على خير وأسبغ نائلًا إذا راح كالسيف الصقيل المهندي
وأنسَ ثيَرِدَ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَاهُ
تعلَمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ مَدْرَكِي
وَأَنَّ وَعِدَّكَ مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ
تعلَمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ فَسَادُ
عَلَى كُلِّ صَرْمٍ مَتَهِينٍ وَمُتَجَدِّدٍ
وَبَنَوَا رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهُ هَجَوَتْهُ
فَلَا حَمَلَتْ سَوْطِي إِلَى يَدِي
سَوْيَ أَنَّهُ قَدْ قَلَتْ وَبِلَامَةَ
أَصْبَرُوا بِنَحْسٍ لَا يَطْلُقُ وَاسْمَدَ
كَفَاءَ فَغَزَّتْ عَبْرَتِي وَتَبَلَّدَ
أَصْابِهِمْ مِنْ لَمْ يَكُنْ لِدَمَانَهُمْ
فَإِنَّكَ قَدْ أَخْفَرْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيًّا
بَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنِ مَهْرَوْدِ
ذُؤْبِ وَكَلْشُونَ وَسَلَمَيَ تَابَعُوا
جَمِيعًا فَلَا تَدْمِعُ الْعَيْنَ أَكْمَدَ
وَسَلَمَيَ وَسَلَمَيَ لَيْسَ حِيَ كَعْثَلَهُ
وَأَخْوَتَهُ وَهُلْ مُلُوكُ كَاعِنَدُ
فَلَيْأَيْ لَا دِينَا فَنَقْتَتْ وَلَا دَمَّا هَرَقْتُ تَبَيْنَ عَالَمَ الْحَقِّ وَاقْصِدَ^(١)

والمتأمل في الأبيات يجد أن شاعرنا يحاول أن يتصل من التهمة التي الصقها به عمرو بن سالم الخزاعي ، على أن أهم ما في الأبيات هو مزاج الشاعر في مدحه للنبي ﷺ بين القيم الإسلامية والقيم الجاهلية العربية الأصلية ، كما تشير الآيات الأربع في مقدمة القصيدة . فالرسول ﷺ هادٍ بأمر الله ، وهو رسول من عند الله ، غير أنه في ذات الوقت قادر وبر ووفى وكريم وشجاع . ولا نعرف لآنس بن زئيم أياتاً أخرى غير هذه القصيدة ، لكن تكفيها هذه القصيدة ، بل يكفيها البيت الذي قال فيه دعبد الخزاعي أنه أصدق بيت قاله العرب في مدح محمد ﷺ ، وهو البيت الثاني في القصيدة .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

الفصل الثاني

[من حرف الباء. حرف الخاء]

١. بجير بن زهير
٢. الجارود بن المعلى بن العلاء
٣. حسان بن ثابت
٤. الحصين بن الحمام المري
٥. الخطيبنة
٦. حميد بن ثورالهلاي
٧. خبيب بن عذبي
٨. خزاعي بن عبد نهم بن عفيف المزنوي
٩. الخنساء



بجير بن زهير

هو بجير بن زهير بن أبي سلمي المزني ، أبوه الشاعر المشهور زهير بن أبي سلمي ، وأخوه كعب بن زهير صاحب البردة المشهورة ، أسلم بجير قبل فتح مكة ، سابقاً إلى الإسلام أخيه كعب ، وكان صاحب الفضل في مجيء كعب بن زهير إلى النبي ليعلن توبيه واعتذاره وإسلامه .

وبجير بن زهير شاعر مطبوخ على قول الشعر ، تخرج في مدرسة أبيه ، مثل أخيه كعب ، ييد أن شهرة الأخير طفت عليه وجعلته خاملاً ، وشعر بجير بن زهير مشهور في كتب السيرة والأخبار ، وأشهره ما ورد في قصة إسلام أخيه كعب ، غير أن لبجير مقطوعات شعرية أخرى ، قالها في مناسبات مختلفة مثل فتح مكة و يوم حنين وغزوة الطائف ، وهي مقطوعات تنبئ عن صدق إسلامه ونشره روح الإسلام و تعاليمه وقيمة وتأثير واضح بالقرآن الكريم .

يقول بجير في يوم فتح مكة ، معبراً عن فرحته بالنصر ودخول المسلمين مكة:

نَفِي أَهْلُ الْخَبْلَنْ كُلَّ فَجَّ مَزِينَةُ غَدْوَةِ وَبَنِي خَفَافِ
ضَرِبَتْهُمْ بِمَكَّةِ يَوْمَ فَتْحِ النَّبِيِّ بِالْبَيْضِ الْخَفَافِ
صَبَحَتْهُمْ بِسَعِيْمَ وَالْفَ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ وَافِ
نَطَا أَكَانَهُمْ ضَرِبَاً وَطَعْنَا وَرَشَقَا بِالْمَرِيشَةِ الْلَّطَافِ
كَمَا انصَاعَ الْفَوَاقُ مِنْ الرَّصَافِ
تَرَى بَيْنَ الصَّفَوْفَ لَهَا حَفِيَّا
فَرَحْنَا وَالْجَيَادُ تَحْوُلُ فِيهِمْ بِأَرْمَاجَ مَقْوِمَةُ التَّقَافِ
فَأَبَنَا غَائِمِينَ بِمَا اشْتَهِيَا وَأَبَوَا نَادِمِينَ عَلَى الْخَلَافِ
وَأَعْطَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَنَا مَوَانِقَنَا عَلَى حَسْنِ التَّصَافِ

وقد سمعوا مقالتنا فهموا غداة الروع منا يانصراف^(١)

وهو شعر يكشف عن قوة شاعرية بجبر ، تظهر فيه أثر الصنعة وتغلب عليه روح الجاهلية ، ومع ذلك نلمس أثر الإسلام في سهولة الألفاظ وصدق العاطفة الدينية ، وفي غزوة حنين نلمح أثر الإسلام وعمق الروح الدينية بصورة واضحة ، يقول بجبر ، بعد أن من الله على المسلمين بالنصر بعد الهزيمة :

لولا الإله عبده ولئم حين استخفَّ الربع كل جبانِ
بالجُنُون يوم حبا لنا أقرانا وسوابع يكتُون للأذنانِ
من بين ساع ثوبه في كفه ومقطر بستانك ولبانِ
فالله أكرمنا وأظهر ديننا وأعزنا بعِيادة الرحمنِ
والله أهلكم وفرق جمعهم واذْلَم بعِيادة الشيطانِ
فالمعاني إسلامية والآلفاظ قرآنية ، تسجي شعريًا جميلاً ، أبان عن صدق العاطفة الدينية وعن روح الإخلاص للدعوة والفرح بالنصر .

ويبدو أن بجبرًا كان مهتمًا بوصف المعارك ، ولعله كان مقاتلاً أيضًا ، فهو يصف المعركة وصفاً دقیقاً يكشف عن رؤية الأحداث رؤية العين أو اشتراكه فيها ، فيروى له في غزوة حنين هذين البيتين اللذين يشير فيما إلى طلب العباس بن عبد المطلب من المهاجرين والأنصار العودة إلى القتال مذكراً بهدهم للنبي على نصرته في يوم العريض وبيعة الرضوان ، إذ يقول :

إذ قام عمُّ نبيكم ولئم يدعون بالكتيبة الإيمانِ
أين الذين هم أحابوا ربهم يوم العريضة وبيعة الرضوانِ
وليجبر بن زهير أشعار أخرى يصف فيها بدقة حصار النبي ﷺ لأهل الطائفِ
ويظهر فيها دقة وصف المعارك :

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، مجل ٢ ، ج ٤ ، مصدر سابق ، ص ٢٢٩ .

كانت عَلَّةُ يوم بطن حَنْينِ وغَدَةُ أوطاسِ ويوم الارقِ
جمعت بِاغواءِ هوازِن جمعها فَبَدَّوا كالطائر المُسْرِقِ
لم يَمْنَوا مَنَا مَقَاماً واحِداً إِلا جدارهُمْ ويطَّنَ الخندقِ
ولقد تعرَّضنا لِكِيمَا يَخْرُجُوا فَتَحَصَّنُوا مَنَا بَيْبَابَ مُغَلَّتِي
ترَدَّ حَسَرَاتِي إِلَى رِجْرَاجِي شَهَباءَ تَلْمِعُ بِالْمَنَابِي فِيلَتِي
مَلْمُومَةَ خَضْرَاءَ لَوْ قَدْفَوْرَ بِهَا حَصَنَتِي لَظَلَّ كَاهِنَهُ لَمْ يُخْلِنِي
مشَى الضَّرَاءُ عَلَى الْهَرَاسِ كَانَتِي قَدْرُ تَفَرَّقِي فِي الْقِيَادِ وَتَلَقَّبِي
فِي كُلِّ سَابِقِي إِذَا مَا اسْتَحْضَتِي كَالنَّهِي هَبَتْ رِيحَةُ الْمُتَرْقِرِقِ
جُذُلُّ تَسْ فَضْلُوهُنَّ نَعَالَنَا مِنْ نَسْجِ دَادَ وَكَ تَحْرِقِي
وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَشْعَارِ كَانَ لَهَا وَقْعَهَا الشَّدِيدُ عَلَى نَفْوسِ الْأَعْدَاءِ ، إِنَّهَا فِي
الأخير سلاح من الأسلحة المؤيدة للدعوة المحمدية .

الحارود بن المعلى بن العلاء

الحارود بن المعلى بن العلاء ، أسلم سنة عشر لما وفد مع وفد عبد القيس ، وقد سرَّ النبي ﷺ بإسلامه ، قال أنس : لما قدم الحارود وأذنَ على رسول الله ﷺ فرح به وقربه وأذنَاه .

ويقصُّ لنا ابن سعد في طبقاته قصة إسلام الحارود فيقول : كان الحارود شريفاً في الجاهلية وكان نصراوياً ، فقدم على رسول الله ﷺ في الوفد ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام وعرضه عليه ، فقال الحارود : إني قد كنت على دين واتي تارك ديني لدينك ، أقتضمن لي ديني ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أنا ضامن لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه » ثم أسلم الحارود وحسن إسلامه . وقد وصلنا من شعره بعد إسلامه .

شهدت بأن الله حق وسامحتْ بنيات فؤادي بالشهادة والتهفي
فأبلغ رسول الله عني رسالة بأتني حنيف حيث كنت من الأرضي
فإن لا تكن داري بيشرب فيكم فلاني لكم عند الإقامه والخفشن
وأجعلْ نفسي دون كل ملئه لكم جنة من دون عرضكم عرضي
والآيات السابقة على قلتها تعد وثيقة مهمة في تاريخ الدعوة المحمدية ، فالشاعر يترك دين النصرانية وهو دين سماوي راسخ في الجزيرة لينتقل إلى الدين الجديد ، كما أن الشاعر يضع نفسه تحت إمرة الرسول ﷺ مؤيداً له ومدافعاً عنه عند الحاجة ، وهي آيات قوية تلمح فيها صدق العاطفة . لذلك لن نذهب عندما نرى الحارود بعد ذلك في حروب الردة يقوم بدور كبير ، إذ استطاع أن يقنع قومه بالعودة إلى الإسلام وكانتوا قد ارتدوا مع المغورو بن المنذر بن التعمان ، يقول ابن إسحاق : « قام الحارود فتكلم فتشهد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام ، فقال : أيها الناس إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأكفر من لم

يشهد قال ابن هشام : وبروى وأكفي من لم يشهد *^(١)
وأشد الجارود عند ذلك :
رضينا بدين الله من كل حارث وبالله والرحمن نرضى به ربا
أما وفاة الجارود فكانت في عام ٢١ هـ .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ٣٢٦ .

حسان بن ثابت

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي من سادة قومه ، وأشرافهم ، من بني التجار أخوآل الرسول ﷺ وكانت أمّه « الفريعة » خزرجية مثل أبيه أدركت الإسلام وأسلمت وبأيمانها ^(١) . وربما كان حسان بن ثابت « الشاعر الوحيد من بين شعراء الرسول الذي كانت له شهرة واسعة في الجاهلية » ^(٢) . فكان في شبابه يتربّد على ملوك بني غسان في الشام وعلى المذاقة في الحيرة ، شأنه في ذلك شأن الشعراء المحترفين لل مدح من أمثال النابغة الذبياني والأشعري . وقد أورد لنا ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء قطعة من شعره في بني جفنة من ملوك غسان ، عدّها من شعره الرائع :

للله درْ عصابة نادمتهن يوماً يحلق في الزمان الأولى
يسقطون من وردة البريق عليهم يردد يُصقق بالرحيق السليل
ينشرون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد القليل
أولاد جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل ^(٣)

ولما دخل الرسول ﷺ المدينة أسلم حسان بن ثابت وحسن إسلامه ، فاتخذه الرسول ﷺ شاعره المنافع عن جماعة المسلمين في وجه شعراء قريش ، ويرى في حديث عنه ^{رض} أنه قال : « أمرت عبد الله بن رواحة ، فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشقق واستشفي » .

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تبيير الصحابة ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٣٢٦ .

(٢) د . محمود علي مكي : المذاق التبويه ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ١٢ .

(٣) محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ٢١٨ .

ويرى أيضاً أنه حينما دعا النبي ﷺ لهجاء ابن عمه أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، سأله : كيف يهجو ويجهو قومه وهو - أي الرسول - منهم ؟ فقال : « والله لا سلطك منهم كما يسلُّ الشعر من العجين » وهذا دليل على اقتدار وبراعة . وفوق ذلك دعا له النبي ﷺ ، فقال : « اللهم أいで بروح القدس » وبين له متبرراً في المسجد يقول من فوق الشعر . وقد امتدت الحياة بحسان بن ثابت بعد وفاة الرسول ﷺ حتى أدرك خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وقد قيل أنه عاش سنتين عاماً في الجاهلية ومثلها في الإسلام .

قال أبو عبيدة : فُضيل حسان بن ثابت على الشعراء بثلاث : كان شاعر الانتصار في الجاهلية ، وشاعر النبي ﷺ في أيام النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الإسلام ، وكان يقال له : أبو الحسام لما ناصرته عن رسول الله ﷺ ، ولتعلمه اعراض المشركين .

وأشهر ما لقب به حسان بن ثابت شاعر الإسلام ورسوله الكريم ، فقد عاش
لهمًا بشعره ووجوده منذ أسلام زوجها وأمتدًاً وحجاً ، وفيهما غزير شعره ، وله في
ذلك ديوان ضخم طبع عدة مرات ، وقيل : إن فيه الكثير من الشعر الموضوع ،
غير أن الذي يعنينا هنا شعره الذي قاله في النبي ﷺ والإسلام ولا خلاف عليه ،
والذي ظهر فيه اثر الإسلام والعقيدة والإيمان الخالص .

كان حسان بن ثابت يمزج في شعره بين المعانى الجاهلية والإسلامية ، و مع تقدمه في الإسلام ظهر أثر القرآن الكريم والمعانى الإسلامية بصورة أوضح ، يقول في هجاء قريش يعيرها بهزيمتها يوم بدر :

اسلم :

الله أكْرَمَنَا يَنْصُرُ نَبِيَّهُ وَبَنَا أَقْامَ دِعَائِمَ الْإِسْلَامِ
وَبَنَا أَعْزَّ نَبِيَّهُ وَكَتَبَهُ وَأَعْزَنَا بِالضَّربِ وَالْأَقْدَامِ
يَتَابِنَا جَبَرِيلُ فِي آيَاتِنَا بِفَرَائِضِ الْإِسْلَامِ وَالْأَحْكَامِ
يَتَلَوُ عَلَيْنَا التُّورَّ فِيهَا مُحْكَمًا قَسَّا لِعُمُرِكَ لَيْسَ كَالْأَقْسَامِ
فَنَكُونُ أَوَّلَ مُسْتَحْلِ حَلَالَهُ وَمُحْرَمَهُ لَهُ كُلُّ مُحْرَمٍ
وَالْمَأْمُولُ فِي شِعْرِ حَسَانِ الْإِسْلَامِ عَامَةً يَجْدُهُ يَمْرُجُ فِي قَصَادِهِ بَيْنَ أَسْلُوبِ
الْجَاهِلِيَّةِ وَمَعْانِيهَا وَأَسْلُوبِ الْإِسْلَامِ وَقِيمِهِ ، فَيَقْفَى عَلَى الْأَطْلَالِ وَقَوْفًا سَرِيعًا ،
وَقَدْ يَصْفُ الْخَمْرَ ، ثُمَّ يَتَقَلَّ إِلَى الْجَزْءِ الْإِسْلَامِيِّ ، فَتَرَقُّ الْفَاظُ وَمَعَانِيهِ وَيَظْهُرُ
أَثْرُ الْقُرْآنِ لِفَطْرًا وَمَعْنَى وَقِيمِ الْإِسْلَامِ وَتَعَالِيمِهِ ، وَلَعِلَّ أَشْهَرَ قَصَادِهِ الَّتِي يَكُنُّ أَنَّ
تَؤْكِدُ هَذَا الْمَنْهَجُ الْمُشْهُورُ الَّتِي يَهْجُرُ فِيهَا أَبَا سَفِيَّانَ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِّبِ ،
يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا :

عَنَّتْ ذَاتُ الْأَصْبَاعِ فَالْجَوَامِ إِلَى عَذَراءِ مَنْزِلَهَا خَلَاءُ
دِيَارُّ مِنْ بَنِي الْحَسْنَاسِ قَفْرٌ تَعْقِيْلُهَا الرَّوَاسِ وَالسَّمَاءُ

وَيَعْدُ ذَلِكَ يَتَحَدَّثُ عَنْ طِيفِ حَبِيبِهِ شَعْشَاءَ ، ثُمَّ يَتَقَلَّ إِلَى وَصْفِ الْخَمْرِ
وَصَفَّا فِيَّ ، وَهُنَا يَبْرُرُ السُّؤَالَ : كَيْفَ سَمَحَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ لِشَاعِرِ كَحْسَانِ
بِوَصْفِ الْخَمْرِ وَصَفَّا صَرِيحًا ؟ وَالْأَمْرُ بِسِيَطٍ فَقَدْ كَانَ يَدْرِكُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ أَنَّ
وَصْفَ الْخَمْرِ مُثْلِ الْوَقْفِ عَلَى الْأَطْلَالِ لَيْسَ إِلَّا تَقْليْدًا فَرَضَتْهُ ضَرُورَةً اكْتِمَالِ
الصُّورَةِ الْفَنِيَّةِ ، ثُمَّ يَصْلِي الشَّاعِرَ إِلَى الْجَزْءِ الْإِسْلَامِيِّ مِنَ الْقَصِيدَةِ :

فَلَمَا تَعْرَضُوا عَنِّي اهْتَمَنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَالْكَشْفُ الْغَطَاءُ
وَإِلَّا فَاصْبِرُوا بِلَهَاءِ يَوْمٍ يُمْزِّعُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ يَشَاءُ
وَجَبَرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءً

وقال الله قد أرسلت عبداً يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاء

ويلاحظ في هذا المقطع سلاسة الأسلوب ورقة الألفاظ وشيوخ المعاني
الإسلامية . « وكان هذا أمراً طبيعياً لحسان فهو حين يريد التعبير عن عادات
الجاهلين ومعانيهم كان يجاري الفحول بأسلوبهم والظاهر ومعانيهم ، وحين
يريد التعبير عن قيم الدين الحنيف كان يرمي القرآن بعين وسيرة الرسول الكريم
بعين »^(١) . ثم يخاطب أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في القصيدة نفسها
 قائلاً :

الا أبلغ ابا سفيانَ عنيْ فانتَ مجوفَ تَخْبِهُ هواءً
بانْ سيفونا تركتك عبداً وعبد الدار سادتها الإمامَ
هجوتَ محمداً فاجبَتْ عنهُ وعندَ الله في ذاكَ الجزاءُ
أتهجُّهُ ولستَ له بكافهٍ فشركُمَا خيركُمَا الفداءُ
 فمن يهجو رسولَ اللهِ مِنْكُمْ ويَدْحَهُ ويَنْصُرُهُ سواهُ
فإنَّ أبِي ووالدَهُ وعرَضَ لِعِرْضِي مُحَمَّدٌ مِنْكُمْ ويقامُ

اما مدح حسان بن ثابت للنبي ﷺ فياني في تصاعيف آهاته لقرش او
فخره ، غير أن الاقرب إلى مدح الخالص مراثيه في النبي ﷺ ، حيث يظهر فيها
أثر الإسلام ويظهر فيه كذلك حبه للنبي ﷺ . ويشتمل ديوانه المطبع على أربع
قصائد قصار وقصيدة خامسة طويلة ، يشكك بعض النقاد في نسبتها إليه .

يقول في قصيده الرابعة :

ما بالَّ عَيْنِكَ لَا تَنَمُّ كائِنَا كُحْلَتَ مَاقِيَهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ
جَزَّعاً عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيَا يَا خَيْرَ مِنْ وَطَهَ الشَّرَّى : لَا تَبْعَدِ

(١) فائز ترجيبي : الإسلام والشعر ، مرجع سابق ، ص ١١١ .

جني يقيك الترب لهفي ليتني غييت قيلك في بقيع الفرد
القيم بعدك في المدينة ينتهم يا لهفَ نفسي ليتني لم اولد
ونصل إلى مرثيته الأخيرة وهي أطول مراتبه ، إذ تبلغ ستة وأربعين بيتاً أتبها
ابن هشام كاملة في السيرة النبوية . وهي تبدأ بوقوف الشاعر على حجرات
الرسول ومسجده ثم قبره ، وما أثار ذلك في نفسه من ذكريات ، وكان الشاعر
أراد أن يوظف المقدمة الطلالية المعتادة عند شعراء الجاهلية توظيفاً فنياً جديداً ، وهو
في كل ذلك يشير عاطفة المسلمين عن غياب النبي ﷺ وفقدانه في أسلوب سلس
مشبع بالمقاهيم الإسلامية من خلال عبارات من آي الذكر الحكيم وأحاديث الرسول
.

يبدأ قصيده على النحو التالي (١) :

بطيبة رسمَ للرسولِ ومهدَّ مُهيرٌ وقدْ تعقو الرسومُ وتهدمُ
ولا تُمتحنِ الآيات من دارِ حُرمةٍ يهَا منبرُ الهاדי الذي كان يَصعدُ
وواضِحٌ آثارٌ ويافي عالمٍ وربيعٌ لَهُ فيه مُصَلٌّ وَمَسْجِدٌ
بها حُجُّراتٌ كان ينزلُ وَسَطَّها من الله نورٌ يستضاءُ ويُوقَد
وفي ختامها يعدد فضائل النبي ﷺ ويتمي لقاءه في الجنة ، وهو غاية ما
تصبوا إليه نفسه :

وَمَا فَقَدَ الماضونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى القيامة يُفَقَّدُ
أعْفَ وَأوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةً
وَأَفْرَبَ مِنْهُ نَاثِلًا لَا يُنَكَّدُ
وَابْدَكَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدِ
إِذَا ضَنَ مِعْطَاءَ يَا كَانَ يَنْدَدُ
وَأَكْرَمَ صِبَّاتِا فِي الْبَيْوتِ إِذَا اتَّهَى
وَأَكْرَمَ جَدًا بِطْحَيَا يَسُودُ
وَأَمْتَعَ ذِرْوَاتِ وَأَبْتَ في الْمَلَأِ
دِعَائِمَ عَزْ شَاهِقاتِ تُشَيدُ

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٤ ، مصدر سابق ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

وأثبَتَ فرعاً في الفروع ومنتَجاً
وعوداً غذاء المزن فالعود أعيدُ
رباه وليداً فاستمْ تامةً
على أكرم الخيرات رب مُمْجَدٌ
تناثَتْ وصاةُ المسلمين بكفه
فلا العِلْمُ مَحْيُوسٌ ولا الرأي يُفْنَدُ
أقولُ ولا يُلْقِي قولي عَابِرٌ
من الناس إِلَّا عارِبٌ العقل مُبَعَّدٌ
وليس هواني قارِعاً عن ثناهِ لعلِي به جنةُ الْخَلْدِ أَخْلَدُ
مع المصطفى أَرْجُو بِذَلِكَ جوارَهُ وفي نَيلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وأَجْهَدُ
وأعتقد أن هذه التصييدة تعد غرذجاً استمد منه شعراه المديح النبوى بعد ذلك
بعض التقاليد الفنية في قصائدهم ، كالبوصيري وأحمد شوقي وغيرهما .

الحسين بن الحُمَّام الْمَرَى

يضع محمد بن سلام الجمحي الحسين بن الحُمَّام الْمَرَى في كتابه طبقات فحول الشعراء في الطبقة السابعة ، ويرجع تأخره إلى هذه الطبقة في ترتيب الشعراء إلى قلة شعره ، مثله في ذلك مثل سلامة بن جندل والملمس ، على الرغم من قوة شعرهم فيقول : « أربعة رهط محكمون مقلون ، وفي أشعارهم قلة ، فذاك الذي أخرجهم » (١) .

وكان الحسين بن الحُمَّام الْمَرَى سيداً شاعراً وفيما فهو يُعد من أوفياء العرب كان سيد قومه ، وصاحب رايه وقادتهم ورائهم ، وكان يقال له : مانع الضيم ، عاصر النابغة الذبياني . أسلم الحسين بن الحُمَّام في سن كبيرة ، وكان من صحابة الرسول ﷺ ، تلمع في شعره أنفة وإباء كسامحها الإسلام بحب الاستشهاد تحت ظلال السيف ، فالآيات التالية تدل دالة كبيرة على تأثيره بالإسلام وتفاعله مع قيمة ومعانيه ، يقول :

وَيَوْمَ تُسْعَرُ فِي الْخَرْوبِ لَبِسْتُ إِلَى الرُّوعِ سِرِّيَّالْهَا
فَلَمْ يَقِنْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا التَّقْنِيُّ وَنَفْسُ تَعْالَى آجَامَهَا
أَمْوَارُ مِنَ اللَّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ مَقَادِيرُ تَنَزُّلِ أَنْزَالِهَا
أَعْوَادُ بَرْبِيِّ مِنَ الْمَخْزِيَا تِبْيَوْمَ تَرَى النَّفْسُ أَعْمَالَهَا
وَخَفَقَ الْمَوَازِينُ بِالْكَافِرِينَ وَرَلَزَلَتِ الْأَرْضُ زَلَالِهَا (٢)

(١) محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مرجع سابق ، ص ١٥٥.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، دار الشعب ، مجل ١٤ ، القاهرة ، ص ٤٨٩١ ، ٤٨٩٢.

فعلى الرغم من أن شاعرنا عاش رديعاً طويلاً من الزمن في الحاهلية ، وله قصائد تُعد من عيون الشعر العربي تشيع فيها بالحياة والقيم الجاهلية ، فإن آثر القرآن الكريم يظهر هنا - في هذه الآيات - بصورة واضحة ، ولكن الشاعر تشرب روح الإسلام تشارباً فسراً في دمه . إذ أن الصلة جلية بين هذه الآيات وأبي الذكر الحكيم ، من مثل قوله تعالى : « واتقوا الله » « فإن الله يحب المتقين » « فمن انتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » « إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » « هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمره فإما يقول له كن فيكون » « وإن من شيء إلا عندنا خزانته وما ننزله إلا بقدر معلوم » ثم أخيراً قوله تعالى : « إذا زلزلت الأرض زلزالها » وأيضاً « فاما من ثقلت موازنه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازنه فأنه هاوية وما أدرك ما فيه نار حامية » وبجملة : فالآيات تُعد صياغة جديدة للفاظ القرآن الكريم .

الخطب

اسمه جرول بن اوس بن مالك بن حبيرة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيبة بن عبس العبي الشاعر المشهور ، يكتنی : آبا مليكة ^(١) قال أبو الفرج في كتابه الأغاني عنه : « كان من فحول الشعراء ومقدميهم وفсанاتهم » ، وكان يتصرف في جميع فنون الشعر من مدح وهجاء وفخر ونسب ويجد في جميع ذلك . وعده ابن سلام الجمحي في شعراء الطبقة الثانية مع أوس بن حجر وبشر ابن أبي خازم ، وكعب بن زهير ، وقال فيه « كان الخطية متين الشعر شرود القافية » ^(٢)

لقب بالخطية لقصره أو لدمامته ، قال حماد الرواية : لقب الخطية لأن ضرط ضرطة بين قوم ، فقيل له : ما هنا ؟ قال : إنما هي خطأ . فلقب بالخطية ، ولد في الجاهلية لامة تدعى الضراء كانت لاوس بن مالك العبي ، فنشأ في حجره ، مغموراً في نسبة ، وقد جعله ذلك قلباً مضطرباً منذ أخذ يحسن الحياة من حوله ، وزاد في اضطرابه وقلقه ضعف جسمه وقع وجهه ، ولم يكن بالقترة والشجاعة ليتلافى بهما هوان شأنه على نحو ما صنعت عترة بن شداد قبله .

وقوة شعر الخطبـية لا تخطـتها عـن النـاقد البـصـير ، فقد لـزم زـهـير بـن أـبي سـلمـي يـعلـمـه إـحـكـام صـنـعـة الشـعـر عـلـى نـحو مـا فـعـلـ معـ اـبـنـيه كـعبـ وـبـجـرـ ، فالـخطـبـية مـن مـدـرـسـة زـهـيرـ الـتـي كـانـت تعـنى بـالـتـعـيـرـ وـتـعـرـضـ عـلـى تـصـفـيـهـ منـ كـلـ شـابـةـ ، كـما تعـنى بـالـمعـانـي وـدـقـقـهاـ .

غلب على شعر الخطيبة المدح والهجاء واشتهر بالأخير على نحو واسع حتى

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مجلد ١ ، مصدر سابق ، ص ٣٧٨ .

(٢) محمد بن سلام الجمسي : طبقات قحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، من ٤٠ .

ليقال أنه هجا نفسه إذ يقول :

أبْ شفتاي الْيَوْمَ لَا تَكُلْمَا
بِسْوِ فَمَا أَذْرَى لِمَنْ أَنَا قاتلَهُ
أَرِي لِي وَجْهًا شَوَّهَ اللَّهُ خَلْقَهُ فَقُبْحٌ مِنْ وَجْهٍ وَقُبْحٌ حَامِلٌ
وَإِذَا كَانَ الْحَطِيبَةَ بَغْمُورًا فِي نَسْبَهُ ، فَقَدْ غَمَزَ فِي إِسْلَامِهِ أَيْضًا ، فَمِنْهُمْ مِنْ
ذُعْبٍ إِلَى أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى الرَّسُولِ الْكَرِيمِ وَأَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ ثُمَّ ارْتَدَ مَعَ الْمُرْتَدِينَ أَيَّامَ
أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ تَابَ مَعَ التَّائِبِينَ . وَمِنْهُمْ مِنْ رَعْمَ أَنَّهُ لَمْ يَسْلِمْ أَيَّامَ الرَّسُولِ وَلَمْ
ظُلَّ عَلَى شَرِكَهِ وَجَاهِلِيَّتِهِ »^(١)

وَلَعِلَّ هَذَا مَا جَعَلَ أَحَدَ الْبَاحِثِينَ يَزْعُمُ أَنَّ الْحَطِيبَةَ « لَمْ يَسْلِمْ إِسْلَامًا حَقِيقِيًّا » ،
وَلَمْ يَمْسِ إِسْلَامَ شَفَافَ قَلْبِهِ ، بَلْ عَاشَ فِي غَرْبَةِ دَائِمَةٍ رَادِهَ نَفْعَةَ عَلَى النَّاسِ
وَالْمُجَمَعِ فَاتَّخَذَ مِنَ الْإِسْلَامِ رَدَاءً ، يَسْتَرُ بِهِ تَعَلُّمَهُ بِعَادَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَقَالِيدِهَا ،
فَكَانَ شَدِيدُ الْحَسْنَى إِلَيْهَا ، شَدِيدُ الْامْتِنَاعِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَهُوَ غَرِيبٌ فِي وَطْنِهِ ،
غَرِيبٌ فِي الْمُجَمَعِ ، لَهُ عَادَاتٌ وَتَقَالِيدٌ وَلِلْمُسْلِمِينَ قِيمَهُمُ الَّتِي لَا تَعْتَدُهُ »^(٢) .

وَوَاضَحٌ أَنَّ الْبَاحِثَ فِي الْفَقْرَةِ السَّابِقَةِ يَقْتَضِي أَثْرَ طَهِ حَسِينٍ ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي
نَرَاهُ نَحْنُ ، إِنَّ مِثْلَ هَذَا الرَّأْيِ لَا يَقْبَلُهُ عَقْلٌ ، فَالْإِسْلَامُ لَثُلُّ الْحَطِيبَةِ كَانَ أَمْرًا
عَظِيمًا ، اسْتَفَادَ مِنَ الْعِيشِ فِي كَفْهٍ ، وَقَدْ تَأْثَرَ بِهِ شَاهِ أَمِّ أَبِي ، يَدْلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ
شِعْرُهُ الَّذِي نَلْمَعُ فِيهِ بِوَضْوِحِهِ هَذَا الْأَثْرُ ، سَوَاءَ كَانَ هَجَاءَ أَمْ مَدْحَأً أَمْ اعْتَذَارًا .

وَقَدْ بَالَّغَ الرِّوَاةُ فِي اتِّهَامِ شَخْصِيَّةِ الْحَطِيبَةِ بِالْبَخْلِ ، وَدَنَاءَةِ النَّفْسِ كَمَا بِالْغُوا
فِي اتِّهَامِهِ بِفَسَادِ الدِّينِ ، وَهَذَا الَّذِي جَعَلَ بَعْضَ الْقَادِيَّاتِ الْمُعاصرَاتِ يَخْزُونُهُ فِي
إِسْلَامِهِ ، وَيَقْفَوْنَ عَنْهُ أَثْرَ الْإِسْلَامِ فِي شِعْرِهِ ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْحَطِيبَةَ قَدْ يَكُونُ رَقِيقَ
الْدِينِ ، وَلَكِنَّ لَيْسَ بِفَاسِدِهِ ، يَقُولُ الْدَّكْتُورُ شَوْقِيُّ ضَيْفُ أَنَّ : « الْحَطِيبَةَ كَانَ
يَسْتَهِنُ الدِّينَ فِي الْهَجَاءِ بِشَهَادَةِ لَسَانِهِ »^(٣) . فَقَدْ خَفَّ الْإِسْلَامُ مِنْ حَدَّةِ

(١) طَهُ حَسِينٌ : حَدِيثُ الْأَرْبَاعَاءِ ، جَ١ ، دَارُ الْمَعْارِفِ ، الْقَاهِرَةُ ، صَ ١٢٩ .

(٢) فَائزُ تَرْجِيْنِي : الْإِسْلَامُ وَالشِّعْرُ ، مَرْجِعُ سَابِقٍ ، صَ ١٧٩ .

(٣) شَوْقِيُّ ضَيْفُ : الْمَعْرِفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، مَرْجِعُ سَابِقٍ ، صَ ٩٩ .

لسانه، وتراء يصرح بذلك ويقول :

وَلَا أَنْ مَدِحْتُ الْقَوْمَ قَلْمَه
هَجُوتَ وَلَا يَحْلُّ لَكَ الْهَجَاءَ
لَمْ أَكَ مُسْلِمًا فَيَكُونَ بِيَنِي
وَبَيْنَكُمْ الْمُودَةُ وَالْإِخَاءُ
وَلَمْ أَشْتَمْ لَكُمْ حَسِبًا وَلَكِنْ
حَدَّوْتُ بِحِيثِ يُسْتَعِنُ الْخَدَاءُ
أَمَا فِي مَدِيْحِهِ فَتَرَاهُ يَكْثُرُ مِنْ جَزَاءِ اللَّهِ الْمَدْوُحَهُ عَلَى مَا يَقْدِمُ لَهُ مِنْ بَرَهُ ،
عَلَى شَاكِلَهُ قَوْلَهُ فِي بَعْضِ مَدِيْحِهِ :

فَلِيَجْزِهِ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَخْيَرِ ثَقَةٍ وَلِيَهُدِهِ بِهُدُى الْخَيْرَاتِ هَادِيَا

وَقَدْ يَسْتَهِلُ الْمَدْحُ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ مِثْلُ قَوْلِهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنِّي فِي جَوَارِ فَتَنِي حَامِيَ الْحَقِيقَةِ نَقَاعُ وَضَرَّارُ

وَيَكْفِيُ الْحَطِيقَةُ فِي الْإِسْلَامِ هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي قَالَ فِيهِ أَبُو عُمَرُ بْنُ الْعَلَاءِ أَنَّ
الْعَرَبَ لَمْ تَقْلِ بِيَنَّا قَطُّ أَصْدَقُ مِنْهُ :

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدُمْ جَوَارِهِ لَا يَدْهَبُ الْعَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وَنَضِيفُ أَنَّهُ لَوْلَا إِسْلَامَ وَتَأْثِيرَ الْحَطِيقَةِ بِهِ ، لَمَا قَالَ هَذَا الْبَيْتُ ، فَهُوَ أَبْلَغُ فِي
الدَّلَالَةِ عَلَى حَسْنِ إِسْلَامِهِ ، وَلَيْسَ كَمَا يَزْعُمُ الرَّاعِمُونَ ، وَلَعِلَّ الْآيَاتِ الْأَكْثَرِ فِي
وَصْفِ التَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ تَؤْكِدُ رَعْمَنَا فِي حَسْنِ إِسْلَامِ الْحَطِيقَةِ وَأَثْرِ إِسْلَامِ
فِي شِعْرِهِ :

وَلَسْتُ أُرِي السَّعَادَةَ جَمِيعَ مَالِهِ وَلَكِنَّ التَّقْوَى هُوَ السَّعِيدُ

وَتَقْوَى اللَّهُ خَيْرُ الزَّادِ دُخْرَهُ وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْأَقْرَى مَزِيدُ

وَمَا لَا يَدْرِي أَنْ يَاتِي قَرِيبٌ وَلَكِنَّ الَّذِي يَعْضِي بَعِيدٌ

فَالسَّعَادَةُ فِي رَأْيِ الْحَطِيقَةِ لَيْسَ فِي الدِّينِ وَجَمِيعِ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ الزَّائِلِ ، وَإِنَّمَا
هِيَ فِي الْآخِرَةِ وَتَعِيمُهَا الَّذِي لَا يُنَالُ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، فَهِيَ السَّعَادَةُ الْحَقِيقَةُ . وَلَعِلَّنَا
بَعْدَ هَذَا نَكُونُ قَدْ أَنْصَفَنَا الْحَطِيقَةَ (جِرَوْلَ بْنَ الضَّرَاءِ) .

حميد بن ثور الهمالي

هو حميد بن ثور الهمالي ، « يقال في نسبه حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن عامر بن صعصعة »^(١) يكنى كثيراً إلى المثنى ، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية ، وقضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام ، ويبدو أنه عمر طويلاً ، ففي شعره من الشكوى والهموم وضعف البصر ، وانحناء القلوب ما يوحي ذهنه أنه عمر طويلاً حقاً ، يقول حميد بن ثور :

ليس الشبابُ عليكَ مُرْجِعًا حتى تعودَ كثيَا أَمْ صبَارٌ
مالٍ قد أصبحتُ أَلَا قد تتقضني بعض التواكث حيلاً بعد إمارة
من بَعْدِ ما كُنْتُ فيها ناشِئًا غمراً
كاثني خارجٌ من بيت عطارٍ
لقد ركبَ العصا حتى قد أوجعني مما ركبَ العصا ظهري وأظفارِي
لا أبصِرُ الشخصَ حتى إلا أن أقاربِي مُعْشوشياً بصرِي من بَعْدِ إبصارِي
فالشبابُ لن يعود إلا إذا عادت الأرضُ السوداء ذات الحجارة كثيِّبِ رمل ،
وقد أصبح الشاعر لكيبر سنه كالسراب يحسبه الرائي شيئاً وهو ليس بشيء ، وبعد
أن كان صغير السن جميلاً كانه خارج من عند العطار أصبح لا يسير بدون العصا
لكيبر سنه وضعف جسمه ، كما أنه عشي بصره ، فلا يستطيع أن يرى الشخص
إلا إذا اقترب منه .

ويعد حميد بن ثور من فحول الشعراء المجيدين ، قال عنه المزرياني في
معجم الشعراء : « كان أحد الشعراء الفصحاء ، وكان كل من هاجاه عليه » وقال
فيه الأصمسي : « العظام من شعراء العرب في الإسلام أربعة : راعي الإبل

(١) ابن عبد البر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب على هامش الإصابة لابن حجر العسقلاني ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٣٦٧ .

النميري ، وغيم بن مقبل العجلاني ، وابن أحمر الباهلي ، وحميد بن ثور الهلالي ^(١) .

ويذكر حميد بن ثور عند العلماء والمؤرخين فيمن روى حديثاً عن النبي ﷺ من الشعراء ، ولا يعرف بالضبط تاريخ إسلامه ، غير أن ثمة إجماع على أنه قدم على النبي ﷺ سلماً ، وأنشد بين يديه قوله التالي :

أصبح قلبي من سُلْطَنِي مقصدًا إن خطأ منها وإن تَعَدَّا
فحمل الهم كلاًّ جلعداً ترى العليفي عليها مؤكداً
ويبن نَسْعَةَ خَدِيَّا مُلْدَيَا إذا السرابُ بالقلابة اطْرَدَا
وتَجَدَّ الماءُ الذي تورَدَا تورَدَا تورَدَا أراد المَرْصَدَا
حتى أرانا ربنا محمدًا يتلو من الله كتاباً مُرْشَدَا
فلم تكتَبْ وخرَرَنا سُجَّدَا نعطي الزكاة ونقيم المسْجِدَا

والمتأمل في هذه الآيات يجد أن مسحة جاهلية تعلوها لفظاً ومعنى ، غير أنها تؤكد في خاتمتها على إسلام الشاعر وتصديقه النبي ﷺ . وتروي حميد بن ثور آيات أخرى غير هذه الآيات أنشدها النبي ﷺ عند إسلامه ، وربما في وقت آخر ولكننا لا نجد فيها آثراً ظاهراً للإسلام ، كما رأينا في الآيات السابقة ، وهي آيات من يائمه التي مطلعها :

مَرَضَتُ فَلَمْ تَحْفَلْ عَلَى جَنَوبَ وَادْنَتُ وَالْمَنْشَى إِلَى قَرْبَ

أَمَا الْآيَاتُ الَّتِي أَنْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهَا فهُيَ قَوْلُهُ :

فَلَا يَعْدُ اللَّهُ الشَّابَ وَقَوْلُنَا إِذَا مَا صَبَوْنَا صَبَوْ سَتُوبَ
لِيَالِيَّ أَبْصَارُ الْخَوَانِي وَسَمَعُهَا إِلَى وَادِ رَبِيعِيَّ أَهْنَ جَنَوبَ

(١) عبد العزيز الميمني : ديوان حميد بن ثور الهلالي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص (٢) .

وإذ ما يقول الناسُ شيءٌ مُهونٌ علينا وإذا غُضنُ الشباب رطيبٌ^(١)

ويظهر أثر الإسلام بقصيدة في شعر حميد بن ثور عندما نجد في صيغة أقوال النبي ﷺ شعراً ، فيروى أنه سمع قول النبي ﷺ : « لو لم يكن لابن آدم إلا الصحة والسلامة لكفاه بهما داء قاتلاً » ، فأخذته وقال .

أرى يصربي قد رابني بعد صحةٍ وحسبك داء أن تصح وتألمَ

ولا يلثُ العصران يوماً وليلَةٍ إذا طلبَ أن يدركَ ما تيمماً

وذكر ابن قتيبة في طبقات الشعراء أنه لم يقل في الكبير شيءٌ أحسن منه .

وقد عمرَ حميد - كما أشرنا سابقاً - فأدركَ زمن عمر بن الخطاب ، والأرجح أنه توفي بعد وفاة عثمان بن عفان ، حيث يرد في ديوانه مريثه له بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، نذكر الآيات الثلاثة الأولى منها هنا ، ربما لأنها تشير بصورة واضحة إلى أثر الإسلام في شعر حميد بن ثور :

إني وربُّ الهدايا في مشاعرها وحيث يقضى نذور الناس والنسكُ

وربُّ كلِّ منيبٍ باتَّ مُبتهلاً يتلُّ الكتابَ اجتِهاداً لِئَسَ يَتَرَكُ

لا انكرُنَّ الذي أرْكَنَّني أبداً حتى أعدُّ مع المُهَنَّكِي إِذَا هَلَكُوا^(٢)

(١) ابن عبد البر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مرجع سابق ، ص ٣٦٨ .

(٢) عبد العزيز اليماني : ديوان حميد بن ثور الهلالي ، مصدر سابق ، ص ١١٤ .

خَبِيبُ بْنُ عَدَى

هو خَبِيبُ بْنُ عَدَى أَخُو بْنِ جَحْجِبِي بْنِ كَلْفَةَ بْنِ عُوْفَ ، أَحَدُ الرِّجَالِ السَّتَّةِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمًا مِّنْ عَصْلَةِ الْقَارَةِ لِيَفْقَهُمُ فِي الدِّينِ وَيَعْلَمُهُمْ كِتَابَهُ ، فَغَدَرُوا بِهِمْ عَنْدَ مَاهِ الْهِذَبَلِ يُسَمِّيُّونَهُ : الرَّجِيعُ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَتَّ ثَلَاثَةَ لِلْهِجَرَةِ ، بَعْدَ غَزْوَةِ أَحَدٍ ، قُتِلَ أَرْبَعَةٌ مِّنْ السَّتَّةِ عَنْدَ مَاهِ الرَّجِيعِ ، أَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّثَّةِ وَخَبِيبُ بْنِ عَدَى فَيُبَشِّرُونَ بِمَوْتِهِمْ فِي مَكَّةَ وَقُتْلِهِمْ فِيهَا .

وَيَعْنَيُنَا هَذَا مَقْتَلُ خَبِيبِ بْنِ عَدَى وَمَا قَالَهُ مِنْ شِعْرٍ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ . يَرْوِي أَبْنُ إِسْحَاقَ فِي قَصَّةِ مَقْتَلِهِ ، فَيَقُولُ : ثُمَّ خَرَجُوا بِخَبِيبٍ حَتَّى إِذَا جَاءُوهُ بِهِ إِلَى التَّعْبِيرِ لِيَصْلِبُوهُ قَالَ لَهُمْ : إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَدْعُونِي أَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَاقْتُلُوهُ ، قَالُوا : دُونُكَ فَارْكَعْ ، فَرَكِعَ رَكْعَتَيْنِ أَتَهُمَا وَاحْسَنُهُمَا ، ثُمَّ أُقْبِلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَظْنُوا أَنِّي إِنَّمَا طَوَّلْتُ جُزْعًا مِّنَ الْقَتْلِ لِاسْتِكْرَتْ مِنَ الصَّلَاةِ ، فَكَانَ خَبِيبُ بْنُ عَدَى أَوَّلَ مَنْ سَنَّ هَاتِينِ الرَّكْعَتَيْنِ عَنِ الْقَتْلِ لِلْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ رَفَعُوهُ عَلَى خَشْبَةِ فَلَمَّا أُوتْقُورَهُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَا قَدْ بَلَّنَا رِسَالَةَ رَسُولِكَ فَبِلَّهِ الْغَدَةَ مَا يَصْنَعُ بِنَا ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْصِمُهُمْ عَدَدًا ، وَاقْتُلْهُمْ بَدْدًا ، وَلَا تَغْنِدْهُمْ أَحَدًا . ثُمَّ أَنْشَدَ الْأَيَّاتِ التَّالِيَّةِ وَالنَّاسُ تَنَرَّى إِلَيْهِ قَبْلَ قَتْلِهِ ، وَقَيْلَ أَنَّهُ قَالَهَا عَنْدَ مَا عَلِمَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ اجْتَمَعُوا لِصَلْبِهِ :

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابَ حَوْلِيْ وَالْبَرَا^١
وَكُلَّهُمْ مِبْدِي العَدَاوَةِ جَاهِدًا
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاهُمْ وَنِسَاهُمْ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُوُ غَرْبِيَّتِي ثُمَّ كَرِبَتِي
فَلَا عَرْشَ صَبَرَنِي عَلَى مَا يَرَادُ بِي

يبارك على أوصال شلو مزع^(*)
وذلك في ذات الإله وإن يشا
وقد حملت عيني من غير مجزع
وقد خبروني الكفر والموت دونه
ولكن حذاري حجم ثار ملعن
وما بي حدار الموت إني لبيت
فلست أبالي حين أقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي^(١)
فلست بمهد للعدو تخشعأ ولا جرعاً إني إلى الله مرجعى^(١)
فهذه الآيات تدل على قوة إيمان وثبات جنانه أمام الموت ، وهو ثبات مرجمه
ثبات العقيدة والإخلاص لها . وهكذا نجد آثر الإسلام في النفوس ، فالشاعر هنا
لا يرهب الموت أو يحذره فلا يهتم كيف يكون مقتله ، وإنه خليل بالعربي المسلم
أن يتخذ من قول خبيب :

فلست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
مثلاً يقبس من جذوته كلما أحاطت به الفتنة والخطوب ، وشعاراً تتحقق به
رأيه عندما تالب عليه أحزاب الكفر .
والموت عند خبيب هنا مجرد جسر يعبر عليه إلى حياة الأبدية والخلود رحم
الله خبيب بن علوي رحمة واسعة .

(*) الشلو : البقية . المزع : المقطع .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، مجل ٢ ، مصدر سابق .

خزاعي بن عبد نعيم بن عفيف المزنبي

هو خزاعي بن عبد نعيم بنون ابن عفيف بن سعيم المزنبي ، كان في الجاهلية قبل إسلامه يحجب صنماً مزينة اسمه « نعيم » ، فلما علم بظهور النبي ﷺ وكان ذلك بعد الهجرة ، كسر الصنم ، ولحق بالرسول ﷺ في المدينة المنورة وأشده :

ذهبت إلى نهم لاذبح عندهم عترة تُنكِّ كالذى كنتُ أفعل
وقلتُ لنفسي حين راجعت حُرمها أهذا إلهكم ليس بعقل ؟
أيَّتْ قدْنِي الْيَوْمَ دِينُ مُحَمَّدٍ إِلَهِ إِلَهِ السَّمَاءِ الْمَاجِدُ الْمُتَضَلِّلُ
فبائع النبي ﷺ على الإسلام وكان معه عشرة من قومه فأسلموا معه ، ووعد خزاعي أن يأتي بقومه .

ولكن خزاعياً عندما خرج إلى قومه من مزينة لم يجدتهم كما ظن ، فاقام بينهم فترة ، فاستبطأه الرسول ﷺ ودعا حسان بن ثابت ، فقال : اذكر خزاعياً ولا تهجه ، فقال حسان بن ثابت :

الا أبلغ خزاعياً رسولاً بان النم يغسله الوفاء
وأنك خير عثمان بن عمرو وأستاها إذا ذكر النساء
وبايحت الرسول وكان خيراً إلى خير وآنك الشفاء
فما يعجزك أو ما لا تطقة من الأشياء لا تعجز عداء
وعندما وصل هذا الشعر إلى خزاعي ، فقام في قومه فقال : يا قوم قد
خصكم شاعر الرجل فأنشدكم الله ، قالوا : لا نتبوا عليك . فأسلموا ووقفوا
على النبي ﷺ ، وقد دفع رسول الله ﷺ بعد ذلك لواه مزينة يوم فتح مكة إلى
خزاعي وكانت يومئذ ألف رجل .

والمتأمل في قصة إسلام خزاعي ووقف مزينة يرى كيف كان تأثير الشعر في الدعوة المحمدية ، سواء من خزاعي أم من حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ .

الختناء

هي ثماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، لقبها الختناء ، والختناء في اللغة الظبية ، وتكتي أم عمرو ، وهي من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم ، وتُعد في الطبقة الثانية من الشعر .

كانت من أجمل نساء العرب في زمانها فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم فرغبت عنه ، وأتارت التزوج في قومها ، كانت في البداية تقول المقطمات من الشعر ، فلما مات أخواها معاوية وصخر انطلقت تقول مطولات الشعر في رثائهم إلى أن توفقا الله في في أول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه عام ٢٤هـ .

لما جاء الإسلام وفدت مع قومها على النبي ﷺ وأسلمت ، وكان النبي ﷺ يعجب بشعرها ويستشدها ، فيقول : « هيه يا خناس » ويومئ بيده ، قيل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سألاه : - ما أترح مأني عينيك .

قالت : يكاني على السادات من مُضر .

قال : يا خنساء إنهم في النار .

قالت : ذاك أطول بعويلي عليهم .. إني كنت أبكي لهم من النار ، وأنا اليوم أبكي لهم من النار .

وتري الدكتورة عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطر - في كتابها « قيم جديدة للآداب العربي » الختناء من الشاعرات الالاتي أدركتن الإسلام بعد أن نضجت موهبتهن الشعرية واكتمل فنهن ، فقات أوان تأثرهن بالإسلام ، غير أن التأمل في شعر الختناء يجد تأثيرها يملأ مع الحياة الإسلامية الجديدة ، تقول في رثاء أخيها صخر :

عاشرَ خَمْسِينَ حِجَّةً يَنْكُرُ الْمُكْرُرُ فِيْنَا وَيَذْلِلُ الْمَعْرُوفَا
رَحْمَةُ اللهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَسَقَى قَبْرَهُ الرِّبِيعُ خَرِيفًا
فَالْفَاظُ مُثْلِ رَحْمَةِ اللهِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ الْفَاظُ جَدِيدٌ .
وَتَقُولُ فِي قُصْيَدَةِ أُخْرَى فِي رَثَاءِ صَخْرٍ أَيْضًا حِيثُ يَظْهُرُ إِيمَانُهَا بِوَحدَاتِ اللهِ
وَخَلْوَدِهِ :

إِنِّي تَذَكَّرُنِي صَخْرًا إِذَا سَجَعْتُ عَلَى الْغَصُونِ هَتْوَفَ ذَاتِ الْأَطْوَافِ
وَكُلَّ عَبْرَةٍ تَبِيتُ اللَّيلَ سَاهِرًا تَبْكِي بَكَاءً حَزِينَ الْقَلْبَ مُشْتَاقًا
لَا تَكْذِبْنِي فَإِنَّ الْمَوْتَ مُخْتَرٌ كُلُّ الْبَرِّيَّ غَيْرُ الْوَاحِدِ الْبَاقِيَّ
وَتَؤْكِدُ عَلَى الْمَعْنَى نَفْسَهُ فِي قُصْيَدَةِ أُخْرَى ، فَتَقُولُ :
لَا شَيْءٌ يَقْبِلُ غَيْرَ وِجْهِ مَلِيكِنَا وَلَسْتُ أَرِي شَيْئًا عَلَى الدَّهْرِ خَالِدًا
وَلِعُلُّ الْآيَاتِ التَّالِيَّةِ يَتَضَعَّفُ فِيهَا تَأْثِيرُهَا الْكَبِيرُ بِالْمَعْنَى وَالْفَاظُ الْإِسْلَامِيَّةِ ، إِذَا
تَقُولُ فِي رَثَاءِ صَخْرٍ :

لَا يَأْخُذُ الْحَسْفُ فِي قَوْمٍ فَيَغْضِبُهُمْ وَلَا تَرَاهُ إِذَا مَا قَامَ مَحْدُودًا
وَلَا يَقُولُ إِلَى أَنَّ الْفَمَ يَشْتِمُهُ وَلَا يَدْبُبُ إِلَى الْجَارَاتِ تَحْوِيدًا
كَائِنًا خَلَقَ الرَّحْمَنُ صُورَتَهُ دِينَارًا عَيْنَ يَرَاهُ النَّاسُ فَيَقُولُوا
اَذْهَبْ حَرِيَّا جَزَاكَ اللهُ جَنَّتَهُ عَنَّا وَخَلَدْنَا فِي الْفَرْدَوسِ تَحْكِيدًا
قَدْ عَشْتَ فِيْنَا وَلَا تُرْمِنِي بِفَاحِشَةٍ حَتَّى تَوَفَّكَ رَبُّ النَّاسِ مُحَمَّداً
أَمَا مَوْقِفُهَا يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ ، سَوَاءَ قَبْلَ ذَهَابِ أُولَادِهَا الْأَرْبِعَةِ إِلَى الْقَتَالِ أَمْ بَعْدِ
عُوْدَتِهِمْ شَهَادَةً ، فَيُؤْكِدُ عَلَى صَدْقَ إِيمَانِهَا بِالْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَظْهُرْ عَلَى النَّسْخَوِ الَّذِي
ظَهَرَ بِهِ فِي شِعْرِهَا ، فَعِنْدَمَا يَلْتَهَا غَيْرُ قَتْلِهِمْ جَمِيعًا ، قَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
شَرَفَنِي بِاَشْتِهَادِهِمْ جَمِيعًا فِي سَبِيلِ اللهِ وَنَصْرَةِ دِيْنِهِ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ
يَجْعَلَنِي بِهِمْ فِي مَسْتَقْرِرِ الرَّحْمَةِ . أَمَّا قَوْلُهَا لِيَلَةَ ذَهَابِ أَبْنَائِهَا إِلَى الْقَتَالِ ، فَكَانَ

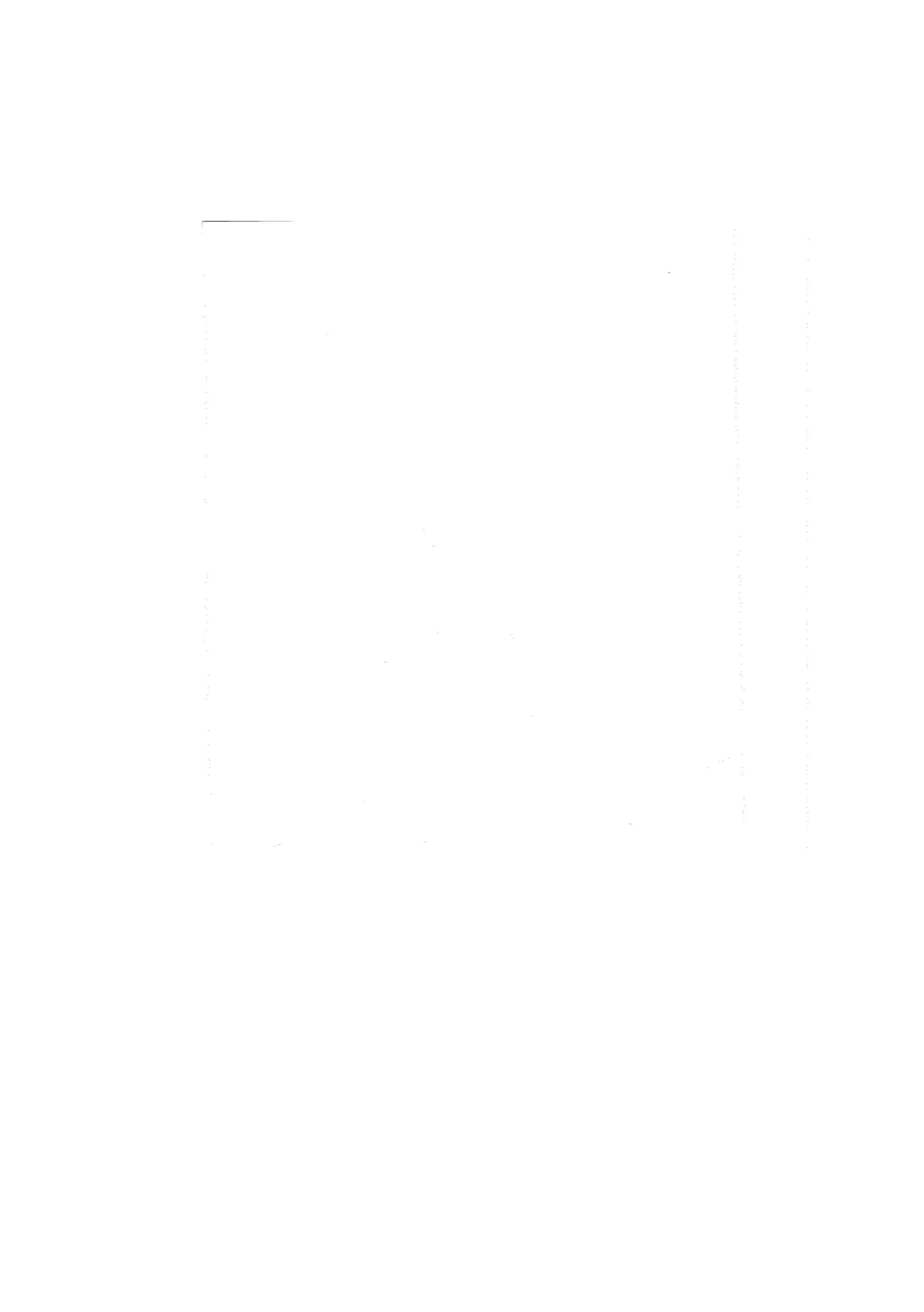
آية أخرى على صدق الإيمان وقوة العقيدة ، إذ قالت لهم : يا بَنِي إِنْكُمْ لَيْتُمْ رَجُلًا واحدًا ، كما أنتُم بَنُو امْرَأَةً وَاحِدَةً ، مَا خَتَّتِ ابْنَكُمْ وَلَا فَضَحَّتِ خَالِكُمْ ، وَلَا هَجَنَتِ حَسْبُكُمْ ، وَلَا غَيَّرْتِ نَسِبَكُمْ ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْدَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ ثَوَابٍ الْجَزِيلِ فِي حَرْبِ الْكَافِرِينَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ الْبَاقِيَةَ خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ أَصْبَرُوا وَصَابِرُوا وَرَبِطُوا وَأَثْقَلُوا اللَّهُ لَمْ يَكُنْ لَّهُنَّ شَيْءٌ ۚ ۝ » [آل عمران: ٢٠٠] فَلَمَّا أَصْبَحُتُمْ غَدَرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَالِمِينَ فَاغْدُوا إِلَى قَتْلٍ عَدُوكُمْ مُسْتَصْزِئِينَ وَبِاللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ مُسْتَنْصِرِينَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُمُ الْحَرْبَ قَدْ شَرَعْتُمْ عَنْ سَاقِهَا وَاضْطَرَرْتُمْ لَظِيَّ عَلَيْ سَيَاقِهَا وَحَلَّتْ نَارًا عَلَى أُورَاقِهَا ، فَتَبَعَّمُوا وَطَبَّيْهَا وَجَالَدُوا رَئِيْسَهَا عَنْدِ احْتِدَامِ خَمِيسَهَا ، تَظَرَّفُوا بِالْغَنَمِ وَالْكَرَامَةِ فِي دَارِ الْخَلْدِ وَالْمَقَامَةِ^(١) .

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج ٤ ، مصدر سابق ، ص ٢٩٦ .

الفصل الثالث

[من حرف الزاي - حرف الصاد]

١. زهير بن صرد السعدي
٢. سعدى بنت كريرا العبشمية
٣. سواد بن قارب الدوسى
٤. الشيماء بنت الحارث
٥. صفية بنت عبد المطلب
٦. الصلصال بن الدليمس بن جندلة
٧. ضرار بن الأزور
٨. ضرار بن الخطاب الفهري



زهير بن صرد السعدي الجشمي

هو زهير بن صرد السعدي الجشمي من بني سعد بن يكر ، قيل كان يكنى آبا جرول ، وكان رئيس قومه ، وقد على النبي ﷺ في وفدي هوازن بعد أن فرغ عليه الصلاة والسلام من حنين ، وكان حيتند في الجماعة يميز الرجال من النساء في سبي هوازن ، وعند ذلك تقدم منه زهير بن صرد وكان شاعراً ومتكلما عن القوم ، وكانوا قد أسلموا ، فقال :

يا رسول الله ، إنما سببنا عذاتك ، وخالاتك وحواضنك اللاتي كفلكن ، ولو أنا ملحتنا للحارث بن أبي شمر والنعمان بن المنذر ثم نزلتنا أحدهما بمثل ما نزلت به لرجونا عطفه وعافته ، وأنت خير المكفولين ، ثم أنشده الآيات الآتية :

امن علينا رسول الله في كرم فلانك المرء ترجوه وتدخر
امن على بيضة قد عاقها قدر مزق شملها في دهرها غير
يا خير طفل ومولود ومنتخب في العالمين إذا ما حصل البشر
أبقيت لنا الحرب تهافت على حزن على قلوبهم السماء والغمر
يا أرجع الناس حلمها حين يختبر إن لم تداركها نعماً تشرها
امن على نسوة قد كنت ترضعها إذ كنت طفلاً صغيراً كنت ترضعها
وإن يزئنك ما تأتي وما تذرُّ إذ كنت طفلاً صغيراً كنت ترضعها
واستيق منا فإنما معشر زهر
عند الهياج إذا ما استوقد الشر يا خير من مرحت كمت الجياد به
وعندنا بعد هذا اليوم مذخر إنا لشكر آلام وإن كفرت
هذا البرية إذ تعقو وتتصير إنا نؤمل عقوباً منك تلبس
فاغفر عقا الله عما أنت راهبه يوم القيمة إذ يهدى لك الظفر

والأبيات السابقة وهي تستدر عطف النبي ﷺ على القوم باسم القرابة ، ورضاعته صغيراً بينهم ، استطاعت أن تؤثر في النبي ﷺ وتجعله يغفر لهم ، فاستجاب لطلب زهير بن صرد عارضاً الأمر على الصحابة الذين وافق معظمهم على رد النبي والغثاثم لهوارن ، عدا الأفوع بن حابس وعباس بن مرداس السلمي .

سُعْدِي بْنَ كَرِيرَ الْعَبْشِمِيَّةِ

هي سعدى بنت كرير بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية ، خالة عثمان بن عفان الخليفة الثالث وزوج رقية بن رسول الله ﷺ .

وسعدى هذه كانت السبب الرئيسي في إسلام عثمان بن عفان ، إذ يقولت كنت بفناء الكعبه ، فقيل لها إن محمدًا قد أتنيك عتبة بن أبي لهب رقية ابنته ، وكانت ذات جمال يارع (كان عثمان مشهور بالنساء وكان وضيًّا حسنة جميلاً ، أبيض مشرباً بصفة ، جمد الشعر ، له جمة أسفل من أذنيه ، جدل الساقين ، طويل النraعين) فلما سمعت ذلك دخلتني حسرة إن لا أكون سبقة إليها ، فلم ألبث أن انصرفت إلى منزلها ، فأصابت خالتي سعدى قاعدة مع أهلي ، وكانت قد طرقت وتکهنت لقوتها ، قال : فلما رأيتني قالت :

أبشر وحييت ثلاثة وثلاة أخرى
ثم ثلاثة وثلاثة أخرى
ثم باخري كي تتم عنرا لقيت خيراً ووقيت شراً
نكحت والله حسانا زهراً وانت بكر ولقيت يكرا

قال عثمان : فعجب من قولها وقلت : يا خالة ، ما تقولين ، فقالت :

عثمان يا عثمان يا عثمان لك الجمال وللك الشأن
هذا نبي معه البرهان أرسله بمحنة الدين
وجاهه التنزيل والفرنان فاتبه لا تقينا بك الاوثان

فقالت : محمد بن عبد الله رسول الله ، جاء إليه جبريل يدعوه إلى الله ، مصباحه مصباح وقوله صلاح ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، لقرنه نجاح ، ذلت له البطاح ، ما ينفع الصباح ولو وقع الرماح ، وسلت الصفاح ومدت الرماح ، ويكمel عثمان فيقول : ثم انصرفت ووقيع كلامها في قلبي وبقيت مفكراً فيه ،

وكان لي مجلس مع أبي بكر الصديق فأتته بعد يوم الاثنين فأصابته في مجلسه ولا أحد عنده ، فجلست إليه فرأي مفكراً فسألني عن أمري ، وكان رجلاً ذيقاً ، فأخبرته بما سمعت من خالي . فقال لي : ويحك يا عثمان ، والله إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل .

ثم يذهب أبوبكر بعثمان إلى الرسول ﷺ فيسلم عثمان ، ثم ما يلبث أن يتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ .

ولقد أشارت سعدى خاتمة إلى ذلك في شعرها فقالت :

هدى الله عثمان الصفي يقوله فارشدَهُ والله يهدي إلى الحق
فتَابَعَ بالرأي السديد محمدَهُ وكان ابن أرْوَى لا يصدُّ عن الحق
وأنكحه المبومُ إحدى بناته فكان كبير مارجَ الشمسَ في الأفق
فذاك يا ابن الهاشمي مهْجِنَيَ فانت أَمِينُ الله أَرْسَلَتَ في الخلق
واضح من شعرها إيمانها بالبعث وبرسالة محمد ﷺ ؛ لذلك فقد ذكرها ابن حجر في الإصابة وعدها من الصحابيات (١)

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٤ ، مصدر سابق ، ص ٣٢٧ .

سواط بن قارب الدوسى

هو سواط بن قارب الدوسى أو السدوسي ، صحب النبي ﷺ وكان في الجاهلية شاعرًا كاهنا ، ثم أسلم وترك الكهانة ، وكان يكره أن يذكر بها ، داعبه عمر بن الخطاب يوما ، فقال له : ما فعلت كهانتك يا سواط ؟ فقال سواط : يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك . فاستحشا عمر ثم قال : إيه يا سواط ! الذي كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك ^(١) ، ثم سأله عمر عن بده إسلامه ! كيف كان ؟

قال سواط : فلاني كنت ناذلاً بالهند ، وكان لي رفي من الجن . فيبينما أنا ذات ليلة نائم إذ جامني في منامي ذلك ، قال : قم فاقفهم واعقل إن كنت تعقل ، قد بعث رسول منبني لوي بن غالب ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وإنها
تهوي إلى مكة تبني الهوى وما مؤمنوها مثل أرجاسها
فانهض إلى الصفة من هاشم وأسم بعينك إلى رأسها

ثم أتبهني وأفرعنني وقال : يا سواط بن قارب إن الله عز وجل بعث نبيا ، فانهض إليه تهند وترشد !! فلما كان في الليلة الثانية أتاني فأنبهني ، ثم أنشأ يقول ذلك :

عجبت للجن وتعلماها وشدها العيس باقتابها
تهوي إلى مكة تبني الهوى ليس قداماها كاذنابها
فانهض إلى الصفة من هاشم ما مؤمنو الجن ككفارها

قال : فلما سمعته يكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حب الإسلام من أمر

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في مرارة الأصحاب ، مج ٢ ، مصدر سابق من ١٢٣ .

النبي ﷺ ما شاء الله .

وقد جعل هذا سواد يسرع بالحضور إلى النبي ﷺ في المدينة ، يقول سواد :
فانطلقت إلى رحلي فشتدت إلى راحلتي فما حللت سعة ولا عقدت أخرى حتى
أتيت النبي ﷺ ، فإذا هو بالمدينة والناس عليه كعرف الفرس ، فلما رأى النبي
ﷺ قال : « مرحبا يا سواد بن قارب ! قد علمتنا ما جاء بك » .
أما سواد فقال : يا رسول الله : قد قلت شعراً فاسمعه مني .

يقول سواد :

أنا نبكيُّ بعد هدوء ورقة ولم يك فيما قد يلوتْ يكاذب
ثلاثُ ليالٍ قولهُ كلَّ ليلة أناك نبِيٌّ من لويٍّ بن غالٍ
فرفعتُ أذيالَ الإزار وشررتَ
بي الفرسُ الوجناء بين السباب
فأشهدُ أنَّ الله لا ربَّ غيره وإنَّك مأمونٌ على كلِّ غائبٍ
وإنَّك أذنَى المرسلين وسيلةٌ
إلى الله يا ابن الأكرمين الأطاييف
فَمُرُّنا بما يأريك من وحي ربنا
وكن لي شفيعاً يوماً لا ذو شفاعة بمعنى فتيلًا عن سواد بن قارب
والآيات على قوتها وجودة سبکها ، إعلان صريح بنشوة النبي ﷺ وشفاعته ،
وقيل هذا توحيد الله جل شأنه ، وقد قبل أن النبي ﷺ لما سمع هذا الشعر
ضحك حتى بدت نواجمه ، وقال لسواد : « أفلحت يا سواد » .

الشيماء بنت الحارث

هي جدامة بنت الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ، يتهي نسبها إلى سعد بن بكر فهوaren ، وتلقب بالشيماء ، والشماء ، فغلبت صفتها على اسمها . وقد كانت الشيماء تحضن رسول الله ﷺ مع أمها وتركته وهو طفل رضيع ، فهي اخت الرسول ﷺ من الرضاع .

وفي يوم هوارن (حنين) انهزمت هوازن التي منها بتو سعد بن بكر ووقع منهم أسرى كثيرون وسبايا كثيرات ، وكان من بين السبايا الشيماء بنت الحارث ، فقالت لبعض جيش المسلمين : أنا اخت صاحبكم ، فلما قدموا بها إلى رسول الله ﷺ قال : يا محمد أنا اختك من الرضاع . فقال رسول الله ﷺ : « وما علامة ذلك ؟ » قالت : عضة عضضتها في ظهره وأنا متورتك ، فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه ، ثم قال لها : « إن أحبيت فأقيمي عندي محيبة مكرمة ، وإن أحببتي أن أتملك فارجعي إلى قومك » ، فقالت : بل تتعني وتردني إلى قومي فمتعها وردها إلى قومها فأسلمت وأعطيها رسول الله أنسعا وشاء وثلاثة عبد وجارية .

ويتو سعد بن بكر الذين رُبِّيَّ فيهم رسول الله ﷺ رضيعاً وغلاماً معروفون بالفصاحة ، بل إن الرسول يقر ذلك في قوله : « أنا أفضح العرب ، بيد آئي من قريش وربت في بيتي سعد بن بكر » لذلك لن نعجب إذا علمتنا أن اخته من الرضاعة . الشيماء بنت الحارث كانت ترتجل الشعر والرجز في صغراها وكبرها وكذلك كان رجال القبيلة فصحاء شراء ، حتى أن رئيس القوم ، أبا جرول الجشي يقول : أسرنا النبي ﷺ يوم حنين ، فيبينما هو يميز الرجال من النساء إذ وثبت ووقفت بين يديه وأشارته :

امن علينا رسول الله في حرم فلائق المرء نرجوه ونتضر
 امن على نسوة قد كنت ترضها يا ارجح الناس حلما حين يختبر
 إننا لنشكر للنعمى إذا كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مذخر
 فأبوا جرول هنا يذكر الرسول بنشأته في هوازن ورضاعته ، لذلك يغفو عنهم
 ومن بينهم بالطبع الشيماء ، كما أشرنا سابقاً .
 أما الشيماء بنت الحارث فقد شغلت يائتها محمد ﷺ حبا ، وشغفت به
 عطفاً فمن شعرها فيه قوله مترجمة :

محمد خير البشر ممن مضى وممن غير
 من حجّ منهم أو اعتذر أحسن من وجسه القمر
 من كل أishi وذكر من كل مشهوب أمر
 جنبي الله الغير فيه واضح لي الآخر
 ومن رجزها الجميل قولها في الرضيع محمد وهي ترقضه، أي تغنى له
 طفلاً:

هذا اخ لي لم تلمسه أمي وليس من نسل أبي وعمي
 فديته ممن مغول معم فانمه اللهم فيما تمنى
 ونمضي ما وصل إلينا من شعر الشيماء بنت الحارث في الرسول ﷺ وهو
 للأسف قليل ، فنختم بهذا الدعاء الطيب الرقيق ، الذي يعد من نفيس شعرها
 فنقول :

يا ربنا أبا أخي محمد حتى أراه يافسعاً وأمرأها
 واكبت أعاديه معها والحسدا وأعطاها عزراً يسدهم أبداً

صفية بنت عبد المطلب

هي صافية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ وشقيقة حمزة بن عبد المطلب أسد الله الذي استشهد في يوم أحد ، ووالدة الزبير بن العوام رضي الله عنه ، إحدى شاعرات قريش المشهورات ، روى لها ابن إسحاق في سيرته شعرًا في أبيها عبد المطلب ترثيه قبيل موته ، وهو شعر يدل على تكائها من فن الشعر ونرى فيه أثر البيئة الجاهلية واضحًا ، تقول رضي الله عنها :

أرقَتْ لصوتِ ناثِةٍ بِلِيلٍ عَلَى رِجْلِي بِقَارِعَةِ الصَّعِيدِ
فَفَاضَتْ عَنِّدِكُمْ دَمْوعِي عَلَى خَدَيْ كَمْنَاحِدِ الْفَرِيدِ
عَلَى رِجْلِ كَرِيمٍ غَيْرِ وَغَلِّ لِهِ الْفَضْلُ الْمَبِينُ عَلَى الْعَبْدِ
ثُمَّ تَعَدَّ صَفَاتِهِ الْكَرِيمَةِ مَا يَذَكُرُنَا بِرَثَاءِ الْخَنَاسِ وَآخْرِيَّهَا ، فَتَصَفَّهُ بِالشَّجَاعَةِ
وَالسِّيَادَةِ وَالشَّرْفِ وَالْجَلُودِ وَالْحَلْمِ وَغَيْرِهَا مِنْ صَفَاتِ الْعَرَبِ الْمَثَالِيَّةِ ، وَيَعْنِيُنَا فِي
هَذَا الْمَقَامِ أَنْ نَذَكِرَ شِعْرَهَا الَّذِي قَالَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، حِيثُ تَظَهُرُ فِي الْمَعْانِيِّ
الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَثْرِ الْإِيمَانِ بِهِ وَتَعَالِيمِهِ ، فَأَوْلَ شِعْرُهَا فِي ذَلِكَ رَثَاؤُهَا أَخَاهَا حَمْزَةُ بْنُ
عَبْدِ الْمَطَّلِبِ سَيِّدُ الشَّهَادَةِ فِي أَحَدٍ ، حِيثُ تَقُولُ :

أَسَاطِيلُ أَصْحَابِهِ أَحَدُ مَخَافَةٍ بَنَاتُ أَبِي مِنْ أَعْجَمٍ وَخَيْرٍ
فَقَالَ الْخَيْرُ إِنَّ حَمْزَةَ قَدْ ثُوِيَ وَزَبَرُ رَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ وَزَبَرٌ
دُعَاءُ إِلَهِ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دُعَوةٌ إِلَى جَنَّةٍ يَحْيَا بِهَا وَسَرُورٌ
فَذَلِكَ مَا كَانَ نَرْجِي وَنَرْتَجِي حَمْزَةُ يَوْمِ الْحُشْرَ خَيْرٌ مَصْبِرٌ
فَوَاللَّهِ لَا أَتَسْأَكُ مَا هَبَّ الصَّبَا بَكَاءً وَحَزَنًا مَهْضُورٍ وَمَسْبِرٍ
عَلَى أَسَدِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ يَزُودُ عَنِ الْإِسْلَامِ كُلَّ كُفُورٍ

فيالت شلوي عند ذلك وأعظمي لدى أصبح تعاندي ونور
أقول وقد أعلى النعي عشيرتي جزى الله خيراً من أخ ونصير^(١)
فالشاعرة استلهمت في البيت الثاني قوله تعالى : « وأجعل لي ولياً من أهلي »
[طه: ٢٩] . وفي البيت الثالث قوله تعالى : « وَالَّذِينَ آتَمُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ » [البقرة: ٨٢] . وقوله تعالى أيضاً : « وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قَطُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ مِنْ قَوْنَ » [آل عمران: ١٦٩] .

والآيات فوق ذلك تفيض بعاطفة قوية يعززها الصدق وروعة الفن الشعري ، وعلى الرغم من ذلك كانت صفة ثابتة الجنان عندما قتل حمزة ، فقد روى ابن إسحاق أنها لما علمت بمقتل حمزة وغيز هند بنت عتبة بمحنة أرادت أن تراه ، ولما أراد رسول الله ﷺ منها من رؤيته قالت : لاحسين وأصبرن إن شاء الله ، فسمح لها الرسول ﷺ ، فاتته - أي حمزة - ونظرت إليه وصلت عليه وبكت واستغفرت له .

أما رثاؤها لخير البشر محمد ﷺ - وبيدو أن أغلب شعرها كان في الرثاء - فيعد من عيون الشعر النسائي العربي في هذا الغرض ، مما يذكرنا بالختفاء ورثائها لأخيها صخر ، وقد أورد لنا ابن سعد في طبقاته ست مقطوعات من شعرها ، تصل في مجموعها إلى خمسين بيتاً ، تورد بعضها هنا ، ولعلنا سنلاحظ أن شعرها بعد دخولها الإسلام أصابته رقة لفظ وسهولة في التراكيب ، تقول :

أعینی جوداً بدم—— مع سَجَمَ يبادر غرباً بما منهـدم
أعینی فاستحضرها واسكبـا بوجـد وحزـن شـدـيد الـآلـمـ
عـلـى صـفـوةـ اللـهـ ربـ العـبـادـ ربـ السـمـاءـ وـبـارـيـ السـمـمـ
عـلـىـ المـرـتضـىـ لـلـهـدـىـ وـالـتـقـىـ وـلـلـرـشـدـ وـالـتـورـ بـعـدـ الـظـلـمـ
عـلـىـ الطـاـهـرـ الـمـرـسـكـ الـمـجـتـبـىـ رسـوـلـ تـخـيرـهـ ذـوـ الـكـرـمـ

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ٦٢ .

ونمضي مع صفيحة بنت عبد المطلب في مقطوعة أخرى فنجد هنا تحرص في رثائها على ذكر صفات النبي ﷺ ، فتقول :

عن جودي بدمعة تسکاب المطهر الاراب
واندبي المصطفى فعمي وخُصي بدموع غزيرة الاسراب
عن من تذلين بعد نبی خصبة الله ربنا بالكتاب
فاتح خاتم رحيم رؤوف صادق القيل طيب الاواب
مشفق ناصح شقيق علينا رحمة من إلها الوهاب
رحمة الله والسلام عليه وجراه الملك حسن الشواب^(١)
والمتأمل في الآيات السابقة ، وما ذكر قبلًا من رثائها لأخيها حمزة بن عبد المطلب ليلاحظ أثر الثقافة القرآنية التي قبست منها الشاعرة صفات الرسول ﷺ ومهمته في الكون . هذا إلى جانب صدق العاطفة والشاعرية الفياضة بجماليات الشعر العربي .

وقد أورد بن عبد البر لصفية أبياتاً في رثاء النبي ﷺ غير التي في طبقات ابن سعد وهي أبيات قوية أقرب إلى أسلوب الشاعر الذي رأيناها في رثائها لأخيها حمزة ، تقول :

الا يا رسول الله كنت رجاعنا وكنت بنا براً ولم تك جافيا
وكنت رحيمها هادياً و معلماً ليك عليك اليوم من كان يأكي
لعمرك ما أبكي النبي لفقدنه ولكن لما أخشى من الهرج آتيا
كان على قلبي لذكر محمد وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله رب محمد على جدت أمي بيشرب ثاروا
فدا رسول الله أمي وخالتى وعمى وأباي ونفسى وماليا

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، مجل ٢ ، دار صادر ، بيروت ، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

صدقت وبلغت الرسالة صادقاً ومت صليب العود أبلج صافياً
 فلو أن رب الناس أبقى نبينا سعدنا ولكن أمره كان ماضياً
 عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنات من العدن راضياً
 أرى حسناً أيمته وتركته يبكي ويذعو جده اليوم نائي^(١)
 وقد توفيت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ولها ثلاث وسبعون سنة
 ودفنت بالبيع .

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في ثغرة الأصحاب ، مجلد ١ ، مصدر سابق ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

الصلصال بن الدلهمس بن جندلة

هو الصلصال بن الدلهمس بن جندلة بن المحتجب بن الأعز بن الغضنفر بن تم بن ربيعة بن نزار أبو الغضنفر^(١) أحد الصحابة الذين قدموا على النبي ﷺ مع وفد بني تميم ، وعندما أوصاهم النبي ﷺ ، قال قيس بن عاصم الذي أعجبه كلام النبي ﷺ : وددت لو كان هذا الكلام ألياناً من الشعر ، ففخر به على من يلينا ، وندخرها . فأمر النبي ﷺ بان يأتوه بحسان بن ثابت ، وعند ذلك قال الصلصال : يا رسول الله قد حضرتني أبيات أحبها توافق ما أراد قيس ، فقال له النبي ﷺ : « هاتها ». فقال :

تجنب خليطاً من مقالك إنما قرير الفتى في القبر ما كان يفعل
ولابد بعد الموت من أن تعدد ليوم ينادي المرء فيه فيقبل
 وإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن بغیر الذي يرضى به الله تشغل
ولن يصحب الإنسان قبل موته ومن بعده إلا الذي كان يعمل
لا إنما الإنسان ضيف لأهله يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل
والمعنى في الآيات السابقة إسلامية لا شك في ذلك ، فهي في الأصل
صياغة شعرية لاقوال النبي ﷺ ، لذلك تُعد أشعار الصلصال بن الدلهمس من
أشعار الدعوة الإسلامية ولا يعرف له شعرًا غير هذه الآيات .

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تميز الصحابة ، مجل ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٩٣ .

ضرار بن الأذود

هو ضرار بن الأذود بن مرداس الأسدي ، كان فارساً شجاعاً^(١) ، له صحة النبي ﷺ ، وهو الذي قتل مالك بن نوبية سنة ١٣ هـ ، بأمر من خالد بن الوليد . وقد أبلى يوم اليمامة بلاه عظيماً ، حتى قطعت ساقاه جميماً ، فجعل يحبو ويقاتل حتى وطأته الخيل ومات . وقيل أنه قتل بأجنادين في خلافة أبي بكر ولكن الأشهر أنه مات في اليمامة .

ويعنينا هنا ما قاله من شعر في النبي ﷺ .

روي عن ضرار نفسه أنه قال : أتيت النبي ﷺ فقلت : امدد يدك أباعيك على الإسلام ، ثم قلت :

خلعت القداحَ وعزف التقىَا نَ والخمرُ أشربها والشمالا
وكري المحربر في غمرة وجهدي على المشركون القتالا
وقالت جميلة بددتنا وطرحت أهلك شتى شمالا
في ربا لا أغيّن صفتني فقد بعثت أهلي وما لي بدلal^(٢)

ويروي ابن عساكر أن ضرار أقبل على النبي وقد خلف الف بغير بر عاتتها أما النبي ﷺ فقد قال لضرار بعد أن سمع هذا الشعر :

« ما غبت صفتتك يا ضرار »

وريحنت الصفة ، فقد أبلى ضرار في الإسلام بلاه حسناً ، فشارك في حرب اليمامة وقيل في أجنادين ، حتى مات في أرض القتال فهو شهيد .

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ٢ ، مصدر سابق من ٢١١ .

(٢) ابن عبد البر ، المصدر نفسه ، من ٢١١ .

ضرار بن الخطاب الفهري

هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي الفهري ، كان أبوه الخطاب بن مرداس رئيس بيته فهر في زمانه ، أما هو فكان شاعرًا فارسًا ، قال شعرًا كثيرًا في رثاء مشركي مكة والدفاع عنهم ، وكان ذلك قبل إسلامه ولم يكن في قريش أشعر منه ، وياتي في المرتبة الثانية بعد عبد الله بن الزيعري . كما أنه أحد الأربعة الذين ثبوا الخندق .

أسلم ضرار بن الخطاب يوم فتحة مكة وحسن إسلامه ، أما ما قاله من شعر بعد إسلامه فقليل ، وقد جاشهت شاعريته يوم فتح مكة ، تعصباً لقريش وخوفاً عليها ، عندما مرَّ سعد بن عبادة بابي سفيان حاملاً راية رسول الله النبي ﷺ ، إذ كان يقول : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل المحرمة ، اليوم أذل الله قريشاً .

ومثل هذا القول من سعد أثر في ضرار تأثيراً كبيراً ، فكتب الآيات التالية لি�ستعطف رسول الله ﷺ ، ولكن يكون الشعر أوقع في نفس ﷺ جعل امرأة تنشده معترضة رسول الله ﷺ :

يا نبي الهدى إليك بجا حي قريش ولا ت حين بلاء
حين ضاقت عليهم سعة الا رضي وعادهم إله السماء
والنقت حلقتا البطن على القو م ونودوا بالصليم الصلماء
إن سعداً يريد قاصمة الظهر باهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيط دمانا بالنسرين والعسواء
غير الصدر لا يهم بشيء قد تلقي على البطاح وجاءت
إذ ينادي بذلك حي قريش وابن حرب بنا من الشهداء

فُلَنْ أَقْحَمَ اللَّوَاءَ وَنَسَادِي
ثُمَّ ثَابَ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِ الْخَزَرِ
لِتَكُونَ بِالْبَطَاطَ قَرِيرِيَشِ
فَانْهِيَهُ فَإِنَّهُ أَسْدَ الْأَسْوَدِ
إِنَّهُ مُطْرَقٌ يَرِيدُ لِنَا الْأَمْمَاءَ
رَسْكُونَاتَا كَالْغَيَّةِ الصَّمَاءَ
دَلْدَى الْغَابِ وَالْغَلَقِ الدَّمَاءَ
فَقَعَةَ الْقَاعِ فِي أَكْفَ الْإِمَامِ
رَجَ والْأَوْسَ أَنْجَمَ وَالْهَجَاءَ
يَا حَمَّةَ الْأَدِيَارِ أَهْلَ الْلَّوَاءِ

يمكن أن نلمح في البيت الأول أن الشاعر يستقي قوله من الآية الكريمة : **«مَنْ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْقَوْمِ»** [التوبه: ٣٣]. غير أن الآثر الأكبر لهذا الشعر في نفس الرسول ﷺ استدار عاطفة القرابة والنسب ، لقد رفق النبي ﷺ واستجاب لطلب ضرار ، فترع اللواء من يد سعد بن عبد الله وجعله إلى ابنه قيس ابن سعد ، وقد نلمس في هذه الاستجابة حب النبي ﷺ لأهله وعشائره من قريش ، لكن ابن هذا من قوله ﷺ لقريش : «اذهبوا فائتم الطلقاء». وقد أسلم ضرار بن الخطاب وحسن إسلامه ، فكان يذكر ما كان من مشاهدته للقتال وبماشرته له ، فيترجم على الانصار ويتذكر يلاءهم ومواطنهم ويذللهم أنفسهم الله في تلك المواطن الصالحة ، وكان يقول : الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام ومن علينا بمحمد ﷺ ، أما وفاته فكانت في اليمامة حيث قتل بها شهيداً .

الفصل الرابع

[حرف العين]

١. عائشة بنت زيد بن عمرو بن نفیل
٢. عباد بن بشر
٣. العباس بن عبد المطلب
٤. العباس بن مرداس السلمي
٥. عبد الله بن الحارث السهمي
٦. عبد الله بن رواحة
٧. عبد الله بن الزبيري
٨. عسقلان بن عواكن الحميري
٩. عمرو بن الجموح الأنصاري
١٠. عمرو بن سالم الغزاعي

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل

هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية اخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة . كانت من المهاجرات ، تزوجها عبد الله بن أبي بكر ، وكانت حسنة جميلة فألوح بها وشققتها عن مغاربه ، فامرها أبوه بطلاقها ، فقال :

يقولون طلقها وخيم مكانها مُقِيمًا ثُمَّ النفس أحلام نائم
وإنْ فرافي أهلَ بيتِ جمعتهم على كربَةِ متنى لِأحدَى العظائم
أراني وأهلي كالمعجلِ تروحت إلى يرها قبل العشار الروايات
ثم عزم عليه حتى طلقها، فتبعتها نفسه ، فسمعه أبوه يقول يوماً :

ولم أر مثلِي طلقَ اليوم مثلاً ولا مثلها من غير جرم تطلق
فرق له أبوه وأذن له فارتجعها ، ثم لما كان حصار الطائف أصابه سهم فكان
فيه هلاكه ، قمات بالمدينة فرثته بآيات منها :

رُؤيتَ بخِيرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَبَعْدَ أَبِيِّهِمْ وَمَا كَانَ قَصْرًا
فَلَكِيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جَلْدِي أَغْيَرَا
فَلَلَهِ عَيْنَا مِنْ رَأْيِ مَثْلِهِ فَتَنِي أَكْرَرُ وَاحْمَنُ فِي الْهَيَاجِ وَاصْبَرَا
إِذَا أَشْرَعْتَ فِي الْأَسْأَرِ خَاضْهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتَرَكَ الرَّمْحَ أَحْمَرَا
فَتَزَوَّجْهَا زَيدُ بْنُ الْخَطَابِ ، فُقْتَلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا ، ثُمَّ تَزَوَّجْهَا عَمْرُ بْنُ
الْخَطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَنَةِ ١٢هـ ، ثُمَّ قُتِلَ عَنْهَا عَمْرٌ فَقَالَتْ تَبَكِيهِ :

عَيْنَ جُودِي بِعِيرَةٍ وَنَحِيبٍ لَا تَمْلَى عَلَى الْإِمَامِ التَّجِيبِ
فَجَعَلَتِي الْمَنْوَنُ بِالْفَارِسِ الْمَصْ مِمْ يَوْمِ الْهَيَاجِ وَالثَّوِيبِ
قُلْ لِأَهْلِ الضَّرَاءِ وَالْبُؤْسِ مَوْتَوْا قَدْ سَقَتْهُ الْمَنْوَنُ كَاسَ شَعُوبِ

(١) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تميز الصحابة ، مجلد ٤ ، مصدر سابق ، ص ٣٥٦ .

ثم كان الزبير بن العوام آخر من تزوجها ، فقالت أيضًا ترثيه :

غددبني جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معبد
يا عمر ولو نبته لوجدته لا طائشًا رعش الجنان ولا اليد
كم غمرة قد خاضها لم يشه عنها طرادي يا ابن فقع القرد
تكلتك أملك أن ظفرت بهملاه من معي عن يروح وبقتندي
والله ربك إن قتلت لسلاما حلت عليك عقوبة المعتمد
ثم خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد انتقامه عدتها من الزبير
فأرسلت إليه : إني لأخشن بك يا ابن عم رسول الله ﷺ عن القتل .
ويبدو أن عاتكة رضي الله عنها كان مولعة بالرثاء ، فيروى لها ابن سعد في
طبقاته أبيات ترثى بها النبي ﷺ ، نختتم بها هذه المقالة .

تقول عاتكة :

أمست مراكبه أوحشت وقد كان يركبها زينها
وأمست تبكي على سيد تردد عبرتها عينها
وأمست نساوك ما تستيقن من الحزن يعتادها دينها
وأمست شراحب مثل النصا ل قد عطلت وكي لونها
يعالجن حزنا بعيداً للذهاب وفي الصدر مكتنح حينها
يضررين بالكف حز الروجه على مثله جادها شونها
هو الفاضل السيد المصطفى على الحق مجتمع دينها
فكيف حياتي بعد الرسول وقد هان من ميته حينها^(١)
ولم يعرف لعاتكة بنت زيد شعرًا غير ما قالته في رثاء آرواجهها والنبي ﷺ .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٢ ، مصدر سابق ، ص ٣٣٢ .

عبد بن بشر

هو عبد بن بشر بن وقش بن رغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الاتصاري الأشلهي ، صحابي جليل من سادات الأنصار وفضلائهم ، أسلم قبل الهجرة على يد مصعب بن عمير ، وكان ذلك قبل إسلام سعد بن معاذ وأسید بن حضير . شهد بدرًا واحدا والختنقا ، والشاهد كلها ، واشترك في سرية محمد بن سلمة لقتل كعب بن الأشرف اليهودي ^(١) .

يروى عنه ، أن عصاه كانت تضيء له الطريق في الليلةظلمة ، ففي رواية ابن الأثير عن أنس أن أسد بن حضير وعبد بن بشر كانوا عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة فخرجا من عنده ، فأضاءت عصا أحدهما ، فكانتا يمشيان بضوئها ، فلما افترقا ، أضاءت عصا هذا وعصا هذا .

وقالت عنه عائشة رضي الله عنها : ثلاثة من الأنصار ، لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا ، كلهم من بني الأشهل ، سعد بن معاذ وأسید بن حضير وعبد بن بشر .

وعن عائشة أيضاً قالت أن النبي ﷺ سمع صوت عبد بن بشر فقال : «اللهم ارحم عبداً» .

أما عبد بن بشر الشاعر ، فلم يصلنا من شعره غير أبيات عشرة قالها وأوصافها كيف قتل هو وأصحابه كعب بن الأشرف اليهودي .

يقول عبد بن بشر :

صرخت به فلم يعرض لصوتي ووافي طالما من رأس جذري
فعدت له فقال من المنادي قلت أخوك عبد بن بشر
وهذا درعنا وهنا فخذها لشهر إن وفى أو نصف شهر

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ٤٣٠ .

فقال معاشر سقيوا وجاعوا
وأعدوا الغني من غير فقر
فأقبل نحونا يهوي سريعاً
وقال لنا لقد جئتم بأمرِ
وفي أيامنا بيسْ حدادَ
مجرودة بها الكفار نغري
فدعانه ابن مسلمة المرادي
به الكفار كاللث الهزير
وشد بيته صلاته عليه
فقطره أبو عبس بن حير
فكان الله سادستنا فأبنا
باتعم نعمة وأعزّ نصرٍ
وجاء برأسه نفر كرامٌ
هم ناهيك من صدق وبر١١

والآيات كما لاحظنا تفصل عملية قتل كعب بن الأشرف ، أما البيتان الآخرين فيظهر فيما أثر الإسلام وأخضاعه ، فالله تعالى معهم وهو في ذلك أهل صدق وبر .

ولقد كانت نهاية عباد بن بشر نهاية كربلة ، شاعر مقاتل مجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض ، إذ قتل شهيداً في معركة اليمامة عام ١٢ هـ عن ٤٥ سنة . رحم الله عباد بن بشر شاعراً ومجاهداً .

١١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (بهامش الإصابة لابن حجر العسقلاني) ، مصدر سابق ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

العباس بن عبد المطلب

العباس بن عبد المطلب ثانى أعمام النبي ﷺ بعد الحارث بن عبد المطلب ، وكان للنبي أعمام عشرة هم بتو عبد المطلب ، كان العباس يكتفى أيام الفضل . وكان العباس على دين قومه لم يسلم بعد ، ومع ذلك حضر مع النبي ﷺ بيعة العقبة الثانية ، وقد ذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى أنه أسلم بمكة قبل بدر ، وأسلمت أم الفضل معه حبيبتها ، وكان مقامه بمكة ^(١) . وقد طلب من النبي ﷺ أن يقدم إلى المدينة مهاجرًا ، فكتب إليه النبي ﷺ : « إن مقامك مجاهد حسن » فآتىه بامر رسول الله ﷺ .

ودفع العباس بن عبد المطلب - سواء قبل إعلان إسلامه أم بعد ذلك - لا ينكره منكر ولا يماري فيه أحد ، غير أن الذي يعنينا هنا ما قيل عن شعر العباس ابن عبد المطلب في الرسول ﷺ ، فشمس أبيات سبعة تروى للعباس بن عبد المطلب في مدح الرسول ﷺ ، قالها العباس أثناء انصراف النبي ﷺ من بيته ، قال العباس للرسول إنني أريد أن أمتذرلك ، فقال : « قل لا يفخض الله فاك » فقال :

من قيلها طابت في الظلال وفي
مستودع حيث يخفف الورق
ثم هبّت البلاد لا يبشر
أنت ولا مرضنة ولا علن
بل نطفة ترکب السفين وقد
الجم تسرّا وائلة الغرق
تنقل من صائب إلى رحم
إذا مضى عالم يدا طبق

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى . ميج ٤ ، مصدر سابق ، ص ٣١ .

حتى احتوى بيتك المهيمن من
ختائف علیاء تحتها النطف
وانت كما ولدت أشرقت الـ
أرض وضاعت بنورك الآفون
فتحت في ذلك الضياء وفي التور
(م) وسـيل الرشـاد يـخـترـق^(١)

والآيات في مجلتها تؤكد على فكرة شاعت في الفكر الصوفي بعد ذلك ،
وهي خلق محمد ﷺ قبل آدم وقبل الأرض ، وأن الأرض أشرقت وضاعت بعد
مولده النبي ﷺ .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ميج ٣ ، دار الحديث ودار الكتب العلمية ، القاهرة وبيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٢٥ .

العباس بن مرداس السلمي

هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن الحارث بن يحيى بن الحارث بن بهنة بن سليم أبو الهيثم السلمي^(١) . أمه الحنساء الشاعرة المشهورة في زعم أبي عبيدة .

والعباس بن مرداس من شعراء البادية شديد العارضة والبيان ، فارس قومه بني سليم وسيدها ، وهو من الذين حرموا الخمر على أنفسهم في الجاهلية ، أسلم قبيل فتح مكة بقليل ، وقد وافق الرسول ﷺ بالف من بني سليم يوم فتح مكة ، وعلى الرغم من بدوته الجافة فقد كان مهياً لتبشر بمبادئ الإسلام ، وقد ذكر له ابن إسحاق أشعاراً كثيرة في مناسبات شتى ، وذلك لأنه شارك في نصرة المسلمين في جل المعارك بعد فتح مكة .

ويظهر أثر الإسلام في شعر العباس بن مرداس بشكل واضح في قصيدة التي يقارن فيها بين جاهليته وما كان عليه من شرك وضلالة وإسلامه حيث ينعم بصحة رسول الله ﷺ وقيم الإسلام وتعاليمه ، يقول :

لعمري يوم أجعل جاهداً ضماراً^(٢) لرب العالمين مشاركاً
وتركي رسول الله والأوسُّ حوله أولئكَ انصارٌ له ما أولئك؟
كتارك سهل الأرض والحزن يتنفس ليسلُّك في وعث الأمور المساكنا
فأمنت بالله الذي أنا عبدهُ وخالفت من أمنَّ ب يريد المحالكا
ووجهت وجهي نحو مكة قاصداً وتابعتُ بين الأخشين^(٣) المباركا^(٤)

(١) ابن حجر العسقلان : الإصابة في عيذ الصحابة ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ٢٧٢ .

(٢) ضماراً : صنم للعباس ورثه عن أبيه .

(٣) الأخشين : جبلان يمكنا .

(٤) الرسول ﷺ .

نبي أثنا بعد عيسى بناطق من الحق في الفضل منه كذلك
أمين على الفرقان أول شافع وأخر مبworth يُجِيب الملائكة
تلافق عر الإسلام بعد التصالها فاحكمها حتى أقام الناسكا
رأيك يا خير البرية كلها توسلت في القرآن من المجد مالكا
ستتهم بالتجدد والتجدد والعلاء وبالغاية القصوى تقوت السبابا
فانت المصفي من قريش إذا سمت غلاصيمها^(١) تبغي القرؤم^(٢) الفوارك^(٣)

ولعل هذه الآيات تُعد من أقوى القصائد في مدح النبي ﷺ فهي تجمع فيها
مدحها النبي ﷺ بين الصفات الإسلامية والقيم البدوية . أما إذا بحثنا عن أثر
الإسلام فيها ، فإنها تتم عن تأثير ابن مرداس بالقرآن الكريم ، فاللقاءه وتعابره
«خاتم الأنبياء» و«مرسل بالحق» و«أول شافع» و«آخر مبworth» كلها مستمدة
من القرآن الكريم ، وهذا دليل على تأثر الشاعر للإسلام تماماً عميقاً .
والعباس بن مرداس في شعره يبرز مكانة النبي ﷺ ودوره الكوني المتمثل في
هداية البشرية كلها ، يقول :

رأيك يا خير البرية كلها ثرت كتاباً جاء بالحق معلمها
ونورت بالقرآن أمر قد مسا واطفان بالبرهان ناراً مضرماً
 فمن يبلغ عني النبي محمد وكل امرئ يجزي بما قد تكلما
تعالى علراً فوق إلهاً وكان مكان الله أعلى وأعظمها

ويبدو أن مكانة العباس بن مرداس في قومه قبل الإسلام جعلته يبني بعض
المعارضة للرسول ﷺ ، إذ اشتراك مع المعترضين على أمر الرسول ﷺ ، يرد
النبي إلى هوازن ، كما أنه عاتب النبي ﷺ مستقلًا ما أعطاه من في هوازن مما

(١) غلاصيمها : جماعتها .

(٢) القرؤم : السادة والواحد قرم .

(٣) الفوارك : المنجبون .

اضطر النبي ﷺ أن يقول : « اقطعوا عني لسانه » فأعطي من في هواز حتى رضي .

ولا يقل ذلك من شاعرية العباس بن مرداس ودور شعره في الدفاع عن الإسلام ونصرته ، كذلك لا ينقص من إسلامه أو تمثيل هذا الإسلام في شعره ، بل يمكن القول أن العباس بن مرداس كان يطمح أن يتألّم مكانة الشاعر الأول عند رسول الله ﷺ فاكثر من قول الشعر في غير مناسبة ، ويكتفي أن نقرأ له هذا العدد الكبير من القصائد المنشورة في السيرة النبوية لابن هشام ، فقد روى له في وقعة حنين وحدها أكثر من مائة بيت على قوافٍ متعددة ، وإلى جانب هذا تجد أنه لا يهتم بغضب أمراته بسبب إسلامه ، ويعيد نفسه وزيراً لـ محمد ﷺ ، فيقول :

فإن تبغى الكفارَ غير ملومةٍ فاني وزيرُ النبيِ وتتابعُ

وذلك في أبيات طويلة ، يعني منها بعد ذلك قوله :

ولكنَ دينَ اللهِ دينَ مُحَمَّدٍ رضينا به فيه الهدى والشراط
أقام به بعد الفضالة أمرنا وليس لأمر حمَّةَ اللهِ (١) دافعٌ (٢)
حيث يظهر فيها أثر الإسلام والإيمان قويًا .

والواقع أن الآيات التي يظهر فيها أثر الإسلام في شعر العباس كثيرة ، وسيطربون بما قاما لو تبعنا ذلك ، لكن نكتفي بهذه البيتين اللذين قالهما ابن مرداس يوم حنين :

يا خاتم النبأ إنك مرسُلٌ
بالحق كلُّ هدى السبيل هُدَاكَا

إن الإله بني عليك مجنة
في خلقه ومحمدًا سماكًا (٣)

(١) حمَّةَ اللهِ : قدره ، وهو أسبابه .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ٢٥٦ .

(٣) ابن هشام : المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ .

ويعد العباس بن موداس من أشجع الناس في شعره ، وذلك في قوله :
 أكُّ على الكتبة لا أبالي أحتفى كان فيها أم سواها (١)

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ٢٧٢ .

عبد الله بن الحارث السهمي

هو عبد الله بن الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم ، أحد الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة^(١) ، ذكره المرذباني في معجم الشعراء ، وقال عنه كان يلقب بالبرق لقوله :

إذا أنا لم أُبرق فلا يسعني من الأرض بِرَّ ذو فضاء ولا بَحْرٌ

على أن ابن هشام في السيرة النبوية أورد ثلاث مقطوعات من الشعر ييرز فيها مكنته من الشعر وتأثيره بالقيم والمعانى الإسلامية^(٢) ، وكان من شعره حين آمن بأرض الحبشة وحمد مع أصحابه الذين هاجروا معه جوار النجاشي فعبدوا الله بلا خوف من أحد قوله :

يا راكبا يلنا عنى مُعْلَفَةً منْ كان يرجو يلاعَهُ اللَّهُ والدِّينِ
كل امرئٍ منْ عبادِ اللَّهِ مُضطهدٍ يُبْطِنُ مَكَّةَ مَقْهُورٍ وَمَفْتُونٍ
أَنَا وَجَدْنَا بِلَادَ اللَّهِ وَاسْعَةَ تَجْهِيَّهُ مَذْلُومٍ وَالْمَهْرُونُ
فَلَا تَقِيمُوا عَلَى ذَلِّ الْحَيَاةِ وَخِزْنِيَّ فِي الْمَاتِ وَعِبَّيْ غَيْرِ مَأْمُونٍ
إِنَا تَبَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ وَاطْرَحْوَا قَوْلَ النَّبِيِّ وَعَالَوْا فِي الْمَوَازِينِ
فَاجْعَلْ عَذَابَكُمْ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ يَغْرُّونَا وَعَانَّا إِنْ يَعْلَمُونَا فَيُطْفَلُونَا

وفي الآيات السابقة يدعو الشاعر المسلمين في مكة إلى الهجرة ، فالرسن الله واسعة لعبادته دون خوف ، قال تعالى : « يَا عِبَادِيَ الدِّينِ آمِنًا إِنَّ أُرْضِي وَاسْعَةٌ فَلَيَأْتِيَ فَاعْبُدُونَ » [العنكبوت: ٥٦] وقوله تعالى أيضًا : « وَمَنْ يَهْجُرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً » [النساء: ١٠٠] ويظهر أثر اللفظ القرآني بصورة أوضح

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ٢٩٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الأول ، مصدر سابق ، ص ١٧٠ .

في البيت الخامس ، فالشاعر متأثر فيه بقوله تعالى : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْنَا مِمَّا نَزَّلْنَا وَأَتَّبَعْنَا الرُّسُولَ فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » [آل عمران: ٥٣] .

ولا يقف عبد الله بن الحارث السهمي عند تأثيره بالقرآن في شعره ، بل إننا نلحظ في شعره روح المقاومة والصمود في وجه التعتن الفرضي ، وإن لمحنا أيضًا شيئاً من العتاب لبعض من قومه ، فهو لم يقطع الصلة بهم بعد ، يقول :

أَبْتَ كَيْدِي لَا أَكْذِبُكَ قَاتَلْهُمْ عَلَيْ وَتَأْيَاهُ عَلَيْ أَنَامِي
وَكَيْفَ قَتَالَيْ مَعْشَرَكَ أَدْبُوكُمْ عَلَى الْحَقِّ أَنْ لَا تَأْشِبُوهُ بِيَاطِلِي
نَقْتَهُمْ عِبَادُ الْجِنِّ مِنْ حُرَّ أَرْضِهِمْ فَاضْسُحُوا عَلَى أَمْرِ شَدِيدِ الْبَلَابِلِ
فَإِنْ تَلَكُ كَانَتْ فِي عَدَيِّ أَمَانَةٌ عَدَيِّ بْنِ سَعْدٍ عَنْ تُقْيَى أَوْ تَوَاصِلِي
فَقَدْ كَنْتُ أَرْجُو أَنْ ذَلِكَ فِيْكُمْ بِحَمْدِ الَّذِي لَا يُطْلِبُ بِالْجَمَاعَلِ (١)
وَبَدَكْتُ شَبِيلًا شَبِيلًا كُلَّ خَيْثَةٍ بَدِيْقَرِيْ مَأْوَى الْضَّعَافِ الْأَرَاملَ

وتستمر مقاومة عبد الله بن الحارث السهمي لقريش مستعيناً هذه المرة بالقصص القرآني فقريش مثل عاد ومدين والحجر تمجده الله حقه ، ويقول :

تَلَكَ قَرِيشٌ تَمْحَدُ اللَّهَ حَقَّهُ كَمَا جَحَدَتْ عَادٌ وَمَدِينٌ وَالْحَجَرُ
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْرِقْ (٢) فَلَا يَسْعَنِي مِنَ الْأَرْضِ بَرٌّ ذُو فَضَاءٍ وَلَا بَحْرٌ
بِأَرْضِي بِهَا عَبْدُ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ أَبْيَنْ مَا فِي النَّفْسِ إِذَا بَلَغَ النَّقْرَ

ففي البيت الأول نجد الشاعر متأثراً بقوله تعالى « أَتَمْ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَQَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدِينَ » [التوبه: ٧٠] ، وقوله تعالى « وَلَقَدْ
كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجَرِ الْمُرْسَلِينَ » [الحجر: ٨٠] .

وإذا عرفنا أن شعر عبد الله بن الحارث قيل في فترة مبكرة من عهد الإسلام ،

(١) لا يطلي : لا يستعمال ولا يستدعى ، والجماعل : جمع جمالة وهي الرشوة .

(٢) أبرق : أهدر .

أي قبل الهجرة النبوية ، ومع ذلك نجد هذا التأثير الواضح بالقرآن ، فمن المؤكد أن هذا راجع إلى صدق الإيمان وتعمق المفاهيم الإسلامية عند الشاعر ظهر على هذه الصورة شعره .

عبد الله بن رواحة

هو عبد الله بن رواحة بن امرئ القيس من بني مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، فهو خزرجي أنصاري ، ثالث الشعراء الذين وقفوا إلى جانب النبي ﷺ بسانهم وبيانهم ، وثالث القادة الشهداء في وقت موتة ، حمل اللواء وقضى شهيداً بعد زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وذلك سنة ثمان من هجرة الرسول ﷺ .

كان ابن رواحة سيداً عظيم الشأن في الجاهلية ، سباقاً إلى الإسلام ، قال عنه المروياني في معجم الشعراء : « كان عظيم القدر في الجاهلية والإسلام ، وكان ينافس قيس بن الخطيم في حروبهم ، ومن أحسن ما مدح به النبي ﷺ قوله :

لَوْلَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُّبِينَةٌ كَانَتْ بِدِيهِتَةٍ تَبَيَّنَكَ بِالْخَيْرِ » (١)

نديه الرسول ﷺ لمهاجة الشعراء من المشركين ، وكان يستشهد ويستحبته ، روى هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت أبي يقول : ما سمعت أحداً أجرأ ولا أسرع شعراً من عبد الله بن رواحة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول له يوماً : « قل شعراً تقتضيه الساعة وأنا أنظر إليك » ، فابتلاه مكاهنه يقول :

إِنِّي تَفَرَّسْتَ فِيْكَ الْخَيْرَ أَعْرَفُهُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا خَانَتِي الْبَصَرُ

أَنْتَ النَّبِيُّ وَمَنْ يُحْرِمُ شَفَاعَتَهُ

يَوْمَ الْحِسَابِ فَقَدْ أَرْرَى بِهِ الْقُدْرُ
فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا أَنْكَ مِنْ حَسْنٍ

تَبَيَّنَتْ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ٣٧ .

فقال رسول الله ﷺ : « وانت فشتك الله يا ابن رواحة » ^(١) .

وشعر ابن رواحة شعر إسلامي خالص ، يمثل القصيدة الإسلامية خير ثليل ، ولكن من أسف لم يصلنا من هذا الشعر إلا القليل ، ربما لأن قريش بعدما أسلمت لم تهتم بجمع شعره ولعل هذا يفسر قول المؤرخين والرواية أن قريشاً في جاهليتها كانت تخرج من شعر حسان بن ثابت ولا تبالي بشعر ابن رواحة لأن حساناً كان يطعن في أصحابهم ويرميهم بالهبات التي تناول من عزتهم الجاهلية ، وكان ابن رواحة يغيرهم بالكفر ، فلموا أسلموا كان شعر ابن رواحة يحز في قلوبهم حزناً ، ففي هجاءه لابي سفيان في وقعة بدراً يعبره بالكفر والشرك ومعصية الرسول ﷺ ، يقول :

وعدنا آبا سفيان بدراً فلم نجدْ

لبعاده صدقاً وما كان وافيا
عصيتم رسول الله ، أفي لدينكم

وأمركم السيء الذي كان غاريا
فاني وإن عفتمني لقائل

فدي لرسول الله أهلي وما لي
أطعنا ولم تدعه فيما يغره

شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا

والمتأمل في الآيات السابقة نجد أن الشاعر يستمد معاناته من القرآن الكريم ، فالبيان الثالث والرابع يمكن أن نردهما إلى قوله تعالى « الذين آتنيا وَجَاهَنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرْجَةً عِنْدَ اللَّهِ » [التوبة: ٢٠] ، وقوله « وَآتَيْتُمُ الرَّسُولَ وَلَا تُنْهِيُّنَّ أَعْمَالَكُمْ » [محمد: ٣٣] .

وفي رثائه لخمسة بن عبد المطلب ، نجد رثاء إسلامياً خالصاً يستمد معاناته من

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ١ ، مصدر سابق ، ص ٢٩٥ .

القرآن الكريم والثقافة الإسلامية عامة ، يقول ابن رواحة :

بكت عيني وحُق لها بكاؤها
وَمَا يُغْنِي البَكَاءُ وَلَا الْعَوْبَلُ
عَلَى أَسْدِ الْإِلَهِ غَدَةٌ قَالُوا
أَحْمَزَهُ ذَاكِمُ الرَّجُلِ التَّقِيلِ
أَصَيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا
هُنَاكَ وَقَدْ أَصَيبَ بِهِ الرَّسُولُ
عَلَيْكَ سَلَامٌ رِّيكَ فِي جَنَانٍ
مَخَالَطُهَا نَعِيمٌ لَا يَرْوَلُ
أَلَا يَا هَاشِمُ الْأَخْيَارُ صَبِرًا
فَكُلْ فَعَالَكُمْ حَسْنٌ جَمِيلٌ
رَسُولُ اللهِ مُصْطَبٌ كَرِيمٌ
بَأْمَرِ اللهِ يَنْطَقُ إِذْ يَقُولُ (١)

ويشير ابن هشام إلى أن هذه الآيات تسب أيضًا إلى كعب بن مالك ، ولكننا نرجح أنها لابن رواحة ، حيث إنها أقرب إلى أسلوبه وصياغته منها إلى أسلوب كعب بن مالك ، فهي تتميز بالرقى والسهولة واستخدام اللفاظ والمعانى الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم .

ومن شعره الذي يتجلّى في خالص الإيمان ما كان يرثمه به وهو آخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ حين دخل مكة في عمرة القضاء ستة سبع للهجرة ، يقول ابن رواحة :

خَلُوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
خَلُوا فَكِلُّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقَيْلِهِ
أَعْرَفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبْلِهِ (٢)
نَحْنُ ضَرِبَنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا ضَرِبَنَاكُمْ عَلَى تَزْرِيلِهِ
ضَرِبَا يَزِيلُ الْهَامَ عَلَى مَقْبِلِهِ
وَيَنْهَلُ الْخَلِيلُ عَنْ خَلِيلِهِ (٣)

وذكر أن عمر بن الخطاب استذكر ذلك ، وقال : يا ابن رواحة في حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ هذا الشعر ؟ فقال الرسول ﷺ : « خل عنه يا عمر ، قوله الذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النيل » ، ثم قال :

(١) ابن هشام : السيرة التبرية ، ميج ١ ، مصدر سابق ، ص ٦٠ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، ميج ٢ ، مصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٣) ابن سلام الجهمي : طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، ص ٢٢٤ .

يا رب لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاترلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الكفار قد يغوا علينا

فقال النبي ﷺ : « اللهم ارحمني » ، فقال عمر : وجبت ^(١) .

وابن رواحة كما أشرنا قبل ذلك ، كان ثابت العقيدة مخلصاً في إيمانه ، ولعل قمة هذا الإخلاص قتله الشهادة حينما بعثه النبي ﷺ في الجيش الخارج إلى موته سنة ثمان للهجرة ، يقول ابن رواحة يوم ودعا المسلمين وهو في طريقه إلى

موته :

لكتني أسل الرحمـن مـغـرـة

وـضـرـبـةـ ذات فـرغـ تـقـدـفـ الـرـيدـا

أـوـ طـمـنةـ يـبـدـيـ حـرـآنـ مـجـهـزةـ

بـحـرـيةـ تـقـدـدـ الـاحـشـاءـ وـالـكـبـداـ

حتـىـ يـقـالـ إـذـاـ مـرـواـ عـلـىـ حـدـثـيـ

أـرـشـدـهـ اللـهـ مـنـ غـارـ وـقـدـ رـشـداـ^(٢)

وـقـدـ حـقـقـ اللـهـ لـابـنـ رـواـحـةـ مـاـ مـنـاهـ ،ـ فـتـالـلـ فيـ مـوـتـهـ حـتـىـ اـسـتـشـهـدـ وـهـوـ مـقـبـلـ

غـيرـ مدـبـرـ مـشـدـداـ :

يـاـ نـفـسـ إـلـاـ تـقـتـلـيـ وـتـورـتـيـ هـذـاـ حـمـامـ الـمـوتـ قـدـ صـلـبـتـ

وـمـاـ تـقـتـلـتـ فـقـدـ أـعـطـيـتـ إـنـ تـفـعـلـيـ فـعـلـهـ هـدـيـتـ

رـحـمـ اللـهـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ رـواـحـةـ شـاعـرـاـ وـمـجـاهـداـ ،ـ وـنـرـىـ أـنـ أـفـضـلـ آـيـاتـهـ قـوـلـهـ يـوـمـ

استـشـدـهـ النـبـيـ ﷺ شـعـرـهـ ،ـ يـحـسـنـ أـنـ نـخـتـمـ بـهـاـ القـوـلـ .

(١) على سامي النشار : شهادة الإسلام في عهد النبوة ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، من ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، مجل ١ ، مصدر سابق ، ص ١٨٠ .

نجادل الناس عن عرضي فتأسرهم
 فينا النبيُّ وفينا تنزل السورُ
 وقد علمتم بانا ليس غالينا
 حبي من الناس إن عزوا وإن كثروا
 يا هاشم الخير إن الله فضلكم
 على البرية فضلاً ما له غيره
 اني تفرست فيك الخير أعرفه
 فراسه خالقهم في الذي نظروا
 ولو سالت او استنصرت بعضهم
 في جل أمرك ما آتوا وما نصروا^(١)

(١) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، ص ٢٢٥ . ٢٢٦

عبد الله بن الزبيري

هو عبد الله بن الزبيري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهوي الشاعر ، أمه عاتكة بنت عبد الله بن عمرو بن وهب بن حنافة بن جمع (١) . وكان ابن الزبيري قبل إسلامه من أشد الناس على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه بلسانه ونفسه وقد عده محمد بن سلام الجمحي أربع شعراً مكة ، وكان يناقض حسان بن ثابت وكعب بن مالك ويرد على المسلمين فخرهم ، ويشتم بقتلهم ويكي قتلى المشركين ، وأشعاره في هذلين الغرفتين كثيرة جداً . ويعتني في هذا المقام شعره الذي قال بعد أن أسلم وحسن إسلامه ، ليتحول من الشرك إلى الإيمان ، والمناقضين للدعوة إلى المناقح عنها ، لذلك استحق أن نعده ضمن شعراً النبي ﷺ .

أسلم عبد الله بن الزبيري عام الفتح ، وكان يوم فتح مكة قد هرب إلى نهران خوفاً من غضب النبي ﷺ وال المسلمين . فهجاه حسان بن ثابت ببيت واحد ما زاد عليه :

لا تَعْدِمَنْ رجلاً أَحْلَكَ بِغَصَّهِ بِتَجْرِيَانِ فِي عِيشِ أَحَدِ ثَيْمٍ
فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الزَّبِيرِيَ قَدِمَ عَلَى الرَّسُولِ مُسْلِمًا وَمُعْتَدِلًا وَمَادِحًا فِي ذَاتِ
الْوَقْتِ ، فَقَالَ شَعْرًا كَفَرَّ بِهِ عَمَا بَدَرَ مِنْهُ ، مُعْتَرِفًا بِأَنَّ الشَّيْطَانَ أَغْوَاهُ وَأَخْلَهُ :
يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي دَارِسٌ مَاقْتَفِتُ إِذَا أَنَا بِسُورٍ
إِذَا أَجَارِيَ الشَّيْطَانُ فِي سَنَنِ النَّبِيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَةً مُشْبُورٌ
آمِنَ اللَّحْمُ وَالْعَظَامُ بِمَا قَلَتْ فَنَفْسِي الْفَدَى وَأَنْتَ النَّذِيرُ (٢)

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ٣٠٩ .

(٢) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : السفر الأول ، مصدر سابق ، ص ٢٤٢ .

وقد زاد ابن عبد البر في « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » أبياتاً أخرى ذكر البيتين الأول والثاني ثم الآيات الأربعية التالية :

فشهد السمع والقُواد بما قلت
ونفسِي الشهيد وهي الخيرُ
أنَّ ما جئتُنا به حقٌّ وصدقٌ ساطع نورُه مضيءٌ منيرٌ
جئتنا بالحقينِ والصدقينِ والبرِّ وفي الصدقِ والحقينِ السرورُ
اذْهَبَ اللَّهُ خَلَّةَ الْجَهَنَّمَ عَنَّا وَأَتَانَا الرَّحْمَةُ وَالْمَيْسُورُ (١)

ويبدو أن ابن سلام الجمحى لم يقبل هذه الزيادة فلم ينسها لابن الزبىرى ، على أية حال يمكن أن نلاحظ تأثر الإسلام في الآيات السابقة ، فنجد أن الشاعر يستقى مادته من القرآن الكريم ، فهو في البيت الثاني متاثراً بقوله تعالى « وَغَيَّرَهُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يُصَلِّمُهُ حَلَالًا بَعْدَمَا » [النَّاسَ: ٦٠] وفي البيت الثالث نجد صدى لقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا أُرْسَلْتَكَ شَاهِدًا وَمَهْبِرًا وَتَبَرُّ » [الأحزاب: ٤٥] . وبفضل
الإسلام ترقى الفاظ ابن الزبىرى وتلiven ويسلس أسلوبه ، وتتشعر في تسجيل الفاظ القرآن والحديث النبوي ، يقول في قصيدة أخرى مادحًا النبي ﷺ ومعتبراً مما
بدر منه سابقاً قبل إسلامه ، ومؤكداً صدق إسلامه وإخلاصه للنبي ﷺ :

مَنْعِ الرِّقَادِ بِلَابِلٍ وَهَمُومٍ وَاللَّيلِ مُعْتَلِجٍ (٢) الرَّوَاقِ بَهِيمٌ (٣)
مَا أَتَانِي أَنْ أَحْمَدَ لَامِنِي فِيهِ ، فَبَتُّ كَانِي مَحْمُومٌ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَّلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا عِيَدَانَهُ سُرُّخَ الْبَدَنِ رَسُومُ
إِنِّي لِمَعْتَدِرٍ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي أَسَدَيْتُ إِذَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمُ
أَيَّامَ تَأْمَرْنِي بِأَغْوِي خُطْلَهُ سَهْمٌ وَتَأْمَرْنِي بِهَا مَخْزُومٌ
وَأَمَدَ أَسْبَابَ الرَّدِّ وَيَقُودْنِي أَمْرَ الغَوَّةِ وَأَمْرَهُمْ مَشْتُومٌ
فَالْيَوْمَ آمِنٌ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَلْبِي وَمَخْطُونِي هَذِهِ مَحْرُومٌ

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ٣١٠ .

(٢) معتلج : متداخل .

(٣) بهيم : مظالم وعصمت

مضت العداوة وانقضت أسبابها
فاغفرَ - فدى لك والدي كلاهما -
ذئبي ، فإنك راحمٌ مرحومٌ
وعليك من سمة الملك علاقة نور أغرٌ وخاتم مختومٌ
أعطاك بعد محبة برهانه مشرقاً وبرهان الإله عظيمٌ^(١)
والمتأمل في الآيات السابقة ، يلحظ إلى جانب تأثر الشاعر ، بالفاظ القرآن ،
صدق العاطفة ، إنها تجربة اعتذارية تفوق اعتذارات النابغة الذهبياني ، فشتان بين
اعتذارات النابغة المتكببة واعتذارات ابن الزبيري المؤمنة الصادقة ، إنها تجربة
تمثل ثورة شعراء قريش وانتقال شعرهم من الهجاء إلى المدح والدفاع عن دعوة
الإسلام .

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص
٣١١ ، ٣١٠ .

عسكلان بن عواكن الحميري

كان عسكلان بن عواكن الحميري أحد المعمرين، وكان من بشر رسالة النبي ﷺ ثم أدرك البعثة، وقد أرسل إلى النبي ﷺ يشعر بمحبه فيه، ويذكر فيه إسلامه، ولم يذكر أنه هاجر مع النبي ﷺ أو آتاه.

ويروي عبد الرحمن بن عوف أنه كان يتزل عليه في اليمن قبل البعثة، يقول: سافرت إلى اليمن قبل البعثة بستة، فنزلت على عسكلان بن عواكن الحميري، وكان شيئاً كبيراً قد انسن له في العمر حتى عاد كالفرخ، وهو يقول:

إذا ما الشَّيْخُ صَمَ فَلَمْ يَكُلِّمْ وَأَوْدِي سَمِعَهُ إِلَّا بِدِيَا
فَذَلِكَ الدَّاءُ لِيْسَ لَهُ دَوَاءٌ سَوْى الْمَوْتِ الْمُنْطَقِ بِالرِّزَايَا
شَهَدْتُ بِنَا مَعَ الْأَمْلَاكِ مَنَا وَادْرَكَتُ الْمَوْقَفَ فِي الْقَضَايَا
فَبَادُوا أَجْمَعِينَ فَصَرَرْتُ حَلَسًا صَرِيعًا لَا أَبُوحُ إِلَى الْخَلَايَا (١)

ويقول عبد الرحمن بن عوف أيضاً: وكنت إذا قدمت (يقصد اليمن) نزلت عليه، فلا يزال يسألني عن مكة وأحوالها، وهل ظهر فيها من خالق دينهم أم لا؟ حتى قدمت القدمة التي يُبعث النبي ﷺ وأنا غائب فيها، فنزلت عليه فقدم، وقد شد عصابة على عينيه، فقال لي: انتسب يا أخي قريش! فقلت: أنا عبد الرحمن - كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فغيره الرسول عبد الرحمن - بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، قال: حسبك، قال إلا أبشرك ببشراء، وهي خير من التجارة؟ قلت: بلى، قال:

إِنَّ اللَّهَ قَدْ يُبَعِّثُ فِي الشَّهْرِ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْمِكَ نَبِيًّا ، ارْتَضَاهُ صَفِيًّا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا وَفِيهِ عَنِ الْأَصْنَامِ ، وَيَدْعُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، يَأْمُرُ بِالْحَقِّ وَيَفْعَلُ ، وَيَنْهَا عَنِ الْبَاطِلِ وَيُبَطِّلُهُ وَهُوَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، وَإِنْ قَوْمَكَ لَا يَخْوَلُهُ وَاحْمَلُ إِلَيْهِ هَذِهِ

(١) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تميز الصحابة، مجل ٣، مصدر سابق، ص ١٠٦.

الآيات :

أشهدُ باللهِ ذي المعلىِ
وقالَ الليلُ والصبحُ
أَنْكَ فِي الشَّرْفِ مِنْ قَرِيشٍ
وَابْنِ الْمَقْدَى مِنَ النَّبَاجِ
أَرْسَلَتْ تَدْعُو إِلَيْ يَقِينِ
تَرْشِدَ لِلْحَقِّ وَالْفَلَاجِ
هَذَا كَرْوَرُ الْسَّنَنِ رَكْنِي
عَنْ بَكْرِ السَّبِيرِ وَالرَّوَاجِ
أَشْهَدُ بِاللهِ رَبِّ مُوسَى
أَنْكَ أَرْسَلْتَ بِالْبَطَاطِ
فَكُنْ شَفِيعِي إِلَى مَلِيكِ
يَدْعُو الْبَرِّيَا إِلَى الصَّلَاحِ^(١)

وعلى ما في هذه الآيات من صدق إيمان عسكلان ، فإنها وصاحبها كانت سبباً قوياً من أسباب إسلام عبد الرحمن بن عوف . إذ يكمل عبد الرحمن القصة قائلاً: فقدمت فلقيت أبا بكر ، فكان لي خليطاً ، فأخبرته الخبر ، فقال : هذا محمد بن عبد الله ، بعث الله إلى خلقه رسولاً فاته ، فأتته في بيت خديجة ، فأخبرته ، فقال : « إنه أخا من حمير من خواص المؤمنين ، ورب مؤمن بي ولم يربني ومصدق بي وما شهدني ، أولئك إخوانني حقاً » .

(١) ابن حجر العسقلاني ، المصدر نفسه مجلج ٣ ، ص ١٠٦ .

عمرو بن الجموح الأنصاري

هو عمرو بن الجموح - بفتح الجيم وتحقيق الميم - ابن زيد بن حرام بن كعب ابن غنم بن سلامة الأنصاري السلمي من سادات الأنصار وشريفاً من أشرافهم .

شهد العقبة ثم شهد بدرًا ، وقتل يوم أحد شهيداً ودفن هو وعبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد ، وكان عمرو بن الجموح أعرج ، فقيل له يوم أحد: والله ما عليك من حرج لأنك أعرج ، فأخذ سلاحه وولى وقال : والله أني لا رجو أن أطأ بعرجي هذه في الجنة ، فلما ولّ قبل على القبلة وقال : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خاتماً .

ويروى أنه أقدم على رسول الله ﷺ نفر من الأنصار فقال لهم : « من سيدكم » فقالوا الجد بن قيس على بخل فيه ، فقال رسول الله ﷺ : « وأي داء أدو من البخل بل سيدكم الجعد الأبيض ، عمرو بن الجموح » . وعند ذلك استاذن أحد شعراء الأنصار ليعبر عن قول النبي ﷺ شعراً فقال :

وقال رسول الله والحق قوله لمن قال مَنْ تَسْتَوْنَ سِيَداً؟
فقالوا له جد بن قيس على التي يبخل فيها وإن كان أسوداً
فتَسْتَوْنَ ما تَخْطُلُ خَطْرَةً لِدُنْيَاً وَلَا مَذَّا فِي يَوْمٍ إِلَى سُوْدَةِ يَدَا
فسود عمرو بن الجموح بجلوده وحق لعمر بالتندي أن يُسودا
إذا جاءه السؤال أذهب ماله وقال خذوه إنك عائد غداً
فلو كنت يا جد بن قيس على التي على مثلها عمرو لكتت سوداً^(١)

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ٥٠٤ ، ٥٠٥

ويروى في قصة إسلامه ، أنه كان في بيته صنم يعبد ، فلما أسلم قبله بعض قريان بني سلمة (قبيلته) ، كانوا يدخلون على صنمهم فيطرحوه في بعض حفر بني سلمة ، فيقدو عمرو فيجده متumbaً لوجهه في العذرة فياخذه ويسله وبطبيه ، ويقول : لو أعلم من صنع هذا بك لاخرزنه ، ففعلوا ذلك مراراً ، ثم جاء بسيفه فنكله عليه ، وقال : إن كان فيك خير فامتحن ، فلما أنسى اخذوا كلباً ميتاً فربطوه في عنقه وأخذوا السيف ، فأصبح عمرو فوجده كذلك ، فابصر رشده وأسلم وقد قال في ذلك أبياتاً من الشعر تتم عند صدق إسلامه واقتناعه بهذا الدين الجديد :

تَالَّهُ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسُطْرٌ فِي قَرَنْ
أَفْ لَمْ تَصْرِعْكَ إِلَهًا يُسْتَدَنُّ الْآنَ فَشَنَاكَ عَنْ سُوءِ الْغَيْنَ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمَنْ وَالْوَاقِبِ الرَّوْقِ وَدَيْنَ الدِّينِ
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَكُونَ فِي ظُلْمَةِ قَبْرِ مُرْتَهِنِ
بِأَحْمَدِ الْمَهْدِيِّ النَّبِيِّ الْمَرْتَهِنِ^(١)

وقد أسلم عمرو بن الجحوم ، وحسن إسلامه فاشترك في بدر وأحد التي استشهد فيها كما أشرنا سابقاً .

وقد روى له المزياني في معجم الشعراء هذين النبيين اللذين يدلان على أثر الإسلام في شعره بقوله

أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَاسْتَغْفِرُ اللَّهِ مِنْ نَارِهِ
وَأَنْتَ عَلَيْهِ بِالْأَمْةِ بِإِعْلَانِ قَلْبِي وَإِسْرَارِهِ^(٢)
رَحْمَ اللَّهِ عَمَرُو بْنُ الْجَحْوِرِ سِيدُ الْأَنْصَارِ ، وَأَحَدُ شَهَادَتِهِ الْأَبْرَارِ .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الأول ، مطبعة الحلبي ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٤٥٣ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تميز الصحابة ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٣ .

عمرو بن سالم الخزاعي

هو عمرو بن سالم بن حصين بن كلثوم الخزاعي الحجاري . له صحبة مع الرسول ﷺ وكان شاعرًا ، ولما نزل محمد ﷺ الحديبية أهدي له عمرو غنما وجزورًا فقال له النبي ﷺ : « بارك الله في عمرو » .

وقد أشاد عمرو بن سالم النبي ﷺ أبياتاً كانت سبباً مباشرًا في إعلان النبي ﷺ التفير لفتح مكة ، ذلك الفتح الأعظم الذي كان إيذاناً بكمال الدعوة ، وقصة هذه الآيات كما تروى في كتب السيرة عن ابن إسحاق أنه : لما هادنَ رسول الله ﷺ قريشاً السنين التي كتب فيها الكتاب بالحدبية كانت خزاعة - مسلمة وكافرها - في عقد النبي ﷺ ، وكانت بكر بن عبد مناة في عقد قريش ، وبين بكر وخزاعة معاورزات ، وقشا الإسلام في خزاعة وانتصافت من بكر ، فشكك بتو ذلك إلى قريش فأعانتها سرًا ودست إليها الرجال والسلاح ، فيبيتوا خزاعة على ماء يقال له الوثير فقتلواهم قتلاً ذريعاً ، فعند ذلك خرج عمرو بن سالم - سرًا - حتى قدم المدينة على النبي ﷺ وأشده مسترحًا ومستعطفاً :

يارب إني ناشدَ محمداً حلفَ آيه وأيتا الأندا
كنت لنا آبا وكنا ولدَ ثمتَ اسلمنا فلم تزع يدا
إن قريشاً اخليفتَ الموعدا وتفقصوا مياثاكَ المؤوكدا
وزعموا إن لستَ تدعوا أحداً وهم أذلُّ وأقلُّ عددا
قد جعلوا لي بكماء رصاداً فاذْعَ عبادَ الله يأتوا مددًا
فيهم رسول الله قد تحرداً أليسَ مثلَ البدر ينبع صعدًا
إن سيمَ خسفاً وجهه تربداً في فلق كالبحر يجري مزيدًا
قد قتلونا بالصعيد هُجداً ثلوا القرآن وكما سجدًا

فانصر رسول الله نصرًا أيدًا ^(١)

ويقول ابن حجر في الإصابة أن الآيات أطول من ذلك ، لكن الذي يعنينا هنا أن الآيات تتم عن صدق عاطفة الشاعر من ناحية وموهبة النبي ﷺ من ناحية ثانية ، فقد قال النبي ﷺ بعد أن استمع إلى هذه الآيات الحماسية :

« تُنصرت يا عمرو بن سالم » ، وفي رواية أخرى : « لا تُنصرني الله إن لم ينصربني كعب » .

وكان النصر ، وكان فتح مكة ، وكان عمرو بن سالم حاملاً لواء خزانة ،
ودخل الناس جمیعاً في دین الله أثواباً .

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ٥٤٠ .

الفصل الخامس

[من حرف القاف - حرف الميم]

١. قتيلة بنت النضر بن الحارث
٢. قردة بن نفافة السلوبي
٣. قس بن ساعدة الإيادي
٤. قيس بن نشبة السلمي
٥. كعب بن زهير
٦. كعب بن مالك
٧. ثبيط بن ربيعة
٨. مانن بن غضيبة
٩. مالك بن عوف النصري
١٠. مالك بن نبط

قبيلة بنت النضر بن الحارث

هي قبيلة ابنة النضر بن الحارث المخزومي القرشي ، كان أبوها النضر بن الحارث أحد المعارضين ضد المسلمين في وقعة بدر ، وقد وقع أسيراً في تلك الواقعة ، وأمر النبي ﷺ بقتله .

وكان النبي ﷺ يطوف بالكعبة ، فجذبت رداءه وأنشاده الآيات التالية في رثاء أنهاها وهي آيات شهد بقوة العاطفة وصدقها لدى الشاعرة ، وفي ذات الوقت تشهد برقة النبي ﷺ ورحمته ، كما سترى بعد أن استمع إليها ، تتغول قبيلة (١) :

أيا راكبا إن الأليل مظلة من صبح خامسة وانت موافق
أبلغ به مينا فإن نحية ما إن تراك بها النجائب تتحقق
مني إليه وعبرة مسروحة جادت لماتها وأخرى تخنق
هل يسمع النضر إن ناديه بل كيف يسمع بيت لا ينطق
ظللت سيفبني أليه توشه الله أرحام هناك تشدق
صبرا يقاد إلى المنيمة متبعا رسف المقيد وهو عان موافق
محمد ولدتك خير نحبة في قومها والفصل فعل معرق
ما كان ضرك لو متنت وربما من الفتى وهو الغيط المحن
فالنضر أقرب إن تركت قرابة وأحقهم إن كان عنق يُعْتَن
أما عن رد فعل النبي ﷺ عندما استمع لهذه الآيات ، فيروى أنه رق لها حتى دمعت عيناه ، وقال لأبي بكر رضي الله عنه ، لو بلغني شعرها قبل أن

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الأول ، مصدر سابق ، ص ٤٢٣ .

يقتل ، ما أمرت بقتله .

ولم يرد في المصادر لقتيلة بعد ذلك شعرًا ، سواء في مدح النبي ﷺ أم في رثائه ، وكل ما وصلنا عنها أنها أسلمت يوم فتح مكة ، وهو قول الواقدي ، أما الآيات السابقة فقد قاتلها قبل إسلامها . ونحن إذ نذكرها ، فلنذكر على خلق الرحمة وأثر الشعر في النبي ﷺ ، فقد كان إنسانًا نبياً .

قردة بن نفأة السلوبي

هو قردة بن نفأة السلوبي ، من بني عمرو بن مرة بن صعصعة بن يكر بن هوارن ، صحابي وشاعر ، أقدم على الرسول ﷺ في جماعة من بني سلوب فامرهم عليهم أن بعد أسلم وأسلموا ، فانشأ يقول :

بأنَّ الشَّابَ قَلَمْ أَحْفَلَ بِهِ مَالًا وَأَقْبَلَ الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ إِقْبَالًا
وَتَدَ أَرْوَى نَدِيمِيَّ مِنْ مَشْعَمَةَ وَقَدْ أَقْبَلَ أُورَاكَا وَأَكْنَاكَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذَا لَمْ يَأْتِي أَجْلِيْ حَتَّى اكْتَسَبَ مِنَ الْإِسْلَامِ سَرِيَالًا^(١)
وعند ذلك قال له النبي ﷺ : « الحمد لله الذي عرفك فضل الإسلام
وجعلك من أهله » ، وقد قيل أن البيت الثالث للبيهقي ربيعة ، وأنه لم يقل
غيره بعد إسلامه ، غير أن لقردة بن نفأة أشعار أخرى ، غير هذه الآيات ،
أوردتها ابن عبد البر في الاستيعاب ، وهي آيات تدل على أنه عمر طويلا ، بيد
أن أثر الإسلام فيها يبدو ضعيفا ، بل يكاد لا يبين :

أَصْبَحَ شِيخًا أَرِيَ الشَّخْصِينَ أَرِيَةً وَالشَّخْصُ شَخْصِينَ لَا مَسْتِيَ الْكِبِيرُ
لَا أَسْمَعَ الصَّوْتَ حَتَّى اسْتَدِيرَ لَهُ وَحَالَ بِالسَّمْعِ دُونِيَ النَّظَرِ الْعَسْرُ
وَكَنْتُ أَشْيَى عَلَى السَّاقِينِ مَعْنَدِلًا فَصَرَّتْ أَمْشِيَ عَلَى مَا يَبْنِي الشَّجَرُ
إِذَا أَقْوَمْ عَجَنَتِ الْأَرْضَ مَتَكَنًا عَلَى الْبَرَاجِمِ حَتَّى يَلْهَبَ النَّفَرُ^(٢)
وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ عَاشَ مائةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَتَجْمَعُ الْمَصَادِرُ عَلَى أَنَّهُ وَقَدْ عَلَى النَّبِيِّ
ﷺ فَأَسْلَمَ وَجَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَمِيرًا عَلَى قَوْمٍ .

(١) ابن حجر المستقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، المجلد الثالث ، مصدر سابق ، ص ٢٣١.

(٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٢٧٥.

قس بن ساعدة الإيادي

هو قس بن ساعدة بن جذامة بن زفر بن إياد بن نزار الإيادي البليغ الخطيب المشهور ، وعلى الرغم من أن قس لم يقد على النبي ولم يدحه - فقد مات قبل بعثة النبي ﷺ - ومع ذلك فتحن نفعه كواحد من الشعراء الذين خدموا الدعوة الإسلامية ؛ وذلك لاعجاب النبي ﷺ بقوله واستثنائه شعره فهو إذن في حكم الشعراء من الصحابة الذين استمع إليهم سيد البشر ﷺ .

وكان قس بن ساعدة أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وكانت العرب تعظمه ، وضرر به شعراًها الأمثال ، وقيل أنه عاش ثلاثة وثمانين سنة ، وقد سمع منه النبي ﷺ حكمته في سوق عكاظ ، وعندما قدم وقد بكر بن واثل على رسول الله ﷺ قال لهم : « ما فعل قس بن ساعدة الإيادي » قالوا : مات يا رسول الله ، قال : « رحم الله قسا ، كاني انظر إليه على جمل أورق تكلم بكلام له حلاوة ! لا أحفظه » .

قال أبو بكر : أنا أحفظه ، قال له النبي ﷺ : « اذكره » ، فذكره .

أما كلام قس الذي ذكره أبو بكر فخطبه المشهورة وأبيات من الشعر تدل على إيمانه بالبعث وتوقعه قيوم النبي ﷺ ، يقول قس :

أيها الناس استمعوا واسمعوا وعوا : كل من عاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزفر ، وجبال مرسة ، وأنهار مجردة ، إن في السماء خبرا ، وإن في الأرض لغيرا ، أرى الناس يمرون ولا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فاقموا ؟ أم تركوا فناما ؟ يقسم قس قسما بالله لا إثم فيه : إن الله تعالى ديننا هو أرضي مما أنتم عليه ، ثم أشد :

في الذاهين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موراداً للماء و ليس لها مصدر
ورأيت قومي نحوها يمضى الأكابر والآباء
لا يرجع الماضي إلى ولا من الباقين غرباء
أدركت أني لا محالة حيث صار القوم صائمون
وتروى لقس أبيات أخرى غير هذه الآيات ، حيث سأله النبي ﷺ و قد إياه
الذكور آنفاً : « هل وجد لقس بن ساعدة وصبة ؟ » قالوا : نعم وجدنا له
صحيفة تحت رأسه مكتوب فيها :

يا باغي الموت والأموات في جدث
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم كما يتبه من نوماته الصعق
منهم عراة وموته في ثيابهم منها الجديد ومنها الأورق الخلق
وعند ذلك قال النبي ﷺ : « والذي يعني بالحق لقد آمن قس بالبعث »
رسم الله قس بن ساعدة ، فكما قال الجاحظ في البيان والتبيين : فإن له ولقومه
فضيلة ليست لأحد من العرب ، لأن رسول الله ﷺ روى كلامه و موقفه على
جملة بعكاظ ، و موقعته و عجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه وهذا شرف
تعجز عنه الأماني و تقطع عنه الآمال .

قيس بن نشبة السلمي

هو قيس بن نشبة السلمي ، من بني سليم ، كان عمًا للعباس بن مرداس الشاعر المعروف ، وكان قيس بن نشبة يتأله في الجاهلية ، ويقرأ في كتب الفرس المترجمة .

أسلم بعد غزوة الخندق ، إذ جاء إلى النبي ﷺ فقال له : إني رسول الله منْ ورائي ومن قومي ، وهم لي مطهرون ، وإنني سائلك عن مسائل لا يعلمنا إلا من يوحي إليه . فسأله عن السموات وسكناتها وما طعامهم وشرابهم ، فذكر له النبي ﷺ السموات السبع والملائكة وعبادتهم ، وذكر له الأرض وما فيها ، فعند ذلك أسلم قيس بن نشبة وعاد إلى بني سليم يتعذرهم بالدخول في الإسلام فقال لهم : يا بني سليم ! قد سمعت ترجمة الروم وفارس وأشعار العرب والكهان ومقاتول حمير ، وما كلام محمد ﷺ يشبه شيئاً من كلامهم ، فأطهرون في محمد ، فإنكم أخواه ، فإن ظفرت تنتفعوا به وتسمدو . وإن تكون الآخرى فإن العرب لا تقدم عليكم ، فقد دخلتُ عليه وقلبي عليه أقدس من الحجر ، فما يرث حتى لأن يكلمه .

وكانت هناك مودة بين قيس بن نشبة وبين هاشم ، وسبب ذلك أن قيس قد مكّة في الجاهلية ، فباع إيلاء ، فلم يعطه المشتري حقه ، فكان يقول :

يا آل فهر كنتُ في هذا الحرم في حرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم لا يمنع مني منْ ظلم؟

فبلغ ذلك العباس بن مرداس ، فكتب إليه أبياتاً منها :

واثت البيوت وكن منْ أهلها مددأ تلق ابن حرب وتلق المرأة عباسا^(١)

(١) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، مجل ٢ ، مصدر سابق ، ص ٢٦٠ .

فقام العباس بن عبد المطلب وأخذ له بحثه ، وقال : أنا لك جار ما دخلت
مكة فكانت بيته وبين بيتي هاشم مودة حتى بعث محمد ﷺ رسولاً .
أما الرسول ﷺ فكان يسميه « حبربني سليم » ويسأله عنه إذا افتقده فيقول
« يا بني سليم أين حبركم ؟ ».
ولقيس بن نشبة أبيات يبدو فيها أثر الإسلام واضحًا ، وهي أبيات مشهورة
ذكرها ابن حجر العسقلاني في كتابه الإصابة :

تابعت دُّنْيَةِ مُحَمَّدٍ ورَضِيَّتُهُ كلَّ الرُّخْضَ لِأَمَانِي وَلِسُلْطَنِي
ذَلِكَ امْرُّ نَارِعَتْهُ قُولَّ الْعَدَا وَعَدَدْتُ فِيهِ بَيْتَنِي
قَدْ كُنْتَ آمِلُّهُ وَانْظَرْتُ دَهْرَهُ فَاللَّهُ قَدْرُ أَنَّهُ يَهْدِنِي
أَعْنِي أَبْنَى آمَنَةَ الْأَمِينِ وَمَنْ يَهُ أَرْجُو السَّلَامَةَ مِنْ عَذَابِ الْهُونِ^(١)

وفي الآيات السابقة إشارة إلى أن قيس بن نشبة كان يتوقع مجيء الرسول

ﷺ .

(١) ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمي المزني ، وأبواه هو الشاعر الجاهلي المعروف زهير أحد أصحاب المعلقات عاش كعب بنجد في كتف أبيه ، وكان أبوه موسعاً عليه في بره ، فلما مات سamat أحواله ولازمه سوء الحظ فافتقر . وكان كعب في جاهليته على عكس أبيه شريراً شرساً هجاء ، ومع ذلك كان جيد الشعر وأكثر شهرة من أخيه بجير وتلاميذه أبيه جميعاً ، ولعل سوء خلقه وميله إلى الشر هو الذي أخر إسلامه ، وقصة إسلامه مشهورة في كتب السيرة النبوية والتاريخ ، إذ قدم على الرسول ﷺ في السنة الثامنة للهجرة بعد فتح مكة ، وكانت قد ضاقت عليه الأرض بعد ما أهدر الرسول ﷺ دمه بسبب هجائه له ، فدخل على الرسول ﷺ المسجد بعد صلاة الصبح وقال له : « إن كعب بن زهير أناك تابياً مسلماً ، فهل أنت قابل منه إن جئتكم به ؟ » فقال : « نعم ». قال : « فاتنا كعب ، فوثب رجل من الأنصار طالباً من الرسول أن يضرب عنق كعب ، فنكته النبي ، وعند ذلك أشد كعب النبي ﷺ قصيده المشهورة :

بانت سعد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يجز مكبول^(١)

فلما فرغ من إنشادها كسر الرسول ﷺ بردته ، لذلك عرفت هذه القصيدة بالبردة .

والقصيدة تأخذ البناء الجاهلي في الشكل والمضمون ، ورغم ذلك يمكن أن نلحظ أثر الإسلام في بعض أبياتها ، ولعل هذا راجع إلى أن الإسلام كان قد أثر في شعراء الجزيرة العربية ، وإن لم يسلموا بعد ، مثل قوله :

فقلت : خلوا طريقي لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مقدرُ

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ٢٨١ .

كل ابن آثى وإن طالت سلامته يوماً على آلِ حَبَّابِ مَحْمُولُ
أثبتت أن رسول الله أوعذني والعفو عند رسول الله مامُولُ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظٌ وتفاصيلٌ
لا تأخذني بآقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت عني الآقاويلُ
وقد أعجب الرسول ﷺ واهتز لقوله :

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيف الله مسلوب
على أن أثر الإسلام وروحه تبدو على نحو أجمل في شعره الذي قاله بعد أن
سلم وحسن إسلامه وصلاح شأنه ، مثل قوله :

أعلم أن متى ما يأتي قدرٍ فليس يحبه شح ولا شقق
والمرء والمال ينبع ثم يذهبه مر الدهور ويغشه فينسحق
فلا تخافي علينا الفقر وانتظرِي فضل الذي بالغنى من عنده ثنق
إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا ومن سوانا ولستنا نحن نترتق
ولكمب بن زهير مقطوعات أخرى تلاحظ فيها أثر القرآن الكريم والثقافة
الإسلامية ، يعبر بها عن تفاعل كامل مع الحياة الإسلامية ومثلها حيث يؤكد
مقسماً أنه سيتمثل مبادئ الإسلام مخلصاً لها ، مسلماً نفسه لله تعالى ، يقول في
ذلك :

فأقسمت بالرحمن لا شيء غيره بين أمري بر ولا الخللُ
لا تستشعرن أعلى درسي مسلماً لوجه الذي يحيي الأنام ويقتلُ
هو الحافظ الوستان بالليل ميتاً على أنه حيٌّ من النوم ومثقلٌ
من الأسود الساري وإن كان ثاراً على حدٍ نايه السّام المثل
وحسبنا من أثر الإسلام في كعب بن زهير هذا التحول الملحوظ في منحى
هجائه ، فقد كان لسانه لاذعاً قارعاً في الجاهلية ، أما في الإسلام فهو متسمح

يصفح الصفح الجميل ، يدعو هاجمه إلى المثل الإسلامية وينصحه نصيحة صدق ، يقول :

إن كنت لا ترهب ذمي لما
فأخش سكوتى إذ أنا منصب فى لسموع حتى القائل
فالسامع الذام شريك له ومُطعم الماكول كالأكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذمه بالحق وبالباطل^(١)

وهي أبيات تدل على سماحة نفس شربت روح الإسلام وتعاليمه المثالية .
ويبدو لنا أن هذه الروح كانت قد تسربت إلى نفس الشاعر قبل أن يسلم ، فمن
جيد شعره الذي يذكره الرواة ويُعْنَى أن تلمع فيه أثر الإسلام أيضا وإن لم يكن قد
أسلم ، قوله :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها فالنفس واحدة والهم متشر
والمرء ما عاش محدود له أمل لا تنتهي العين حتى يتنهى الآخر^(٢)

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ٣ ، مصدر سابق من ٣٠٠ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، من ٢٩٦ .

كعب بن مالك

هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلامة - يكسر اللام - ابن سعد بن على بن أسد بن ساردة أبو عبد الله الانصاري السلمي ^(١).

ولد كعب في يترتب سنة خمس وعشرين قبل الهجرة ، وأسلم مبكراً ، وكان له دور كبير في انتقال الرسول بدعوته إلى المدينة المنورة ، فقد ترشف نور الإسلام أول ما شع في يترتب مع أول أربعين سبعينا إلى الإسلام في المدينة قبل الهجرة ، وكان في العقبة الثانية أحد سبعين رجلاً وافقوا رسول الله ﷺ في مكة وبايدهم على الإسلام والإيمان والنصر .

ويشكل كعب بن مالك مع حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة الثلاثي المشهور للشعر الإسلامي الذي لازم رسول الله ﷺ وأشاد به ودافع عن دعوته ، وهو فوق ذلك من الشعراء الصحابة الذين رووا الحديث الشريف عن النبي ﷺ ، فقد روى ثمانين حديثاً عن النبي ﷺ كما ذكر ابن حزم الأندلسي في كتابه أسماء الصحابة .

وهو أحد الثلاثة الانصار الذين قال الله تعالى لهم : « وَعَلَى الْثَّلَاثَةِ الدِّينَ خَلَقُوا حَتَّى إِذَا حَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِيتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنفُسُهُمْ وَظَاهَرَ أَن لَا مَنْجَا مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِنَّهُمْ نَابَ عَلَيْهِمْ لِيُنَبِّهُمْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَرَابُ الرَّحِيمُ » [التوبه: ١١٨]. والثلاثة هم كعب بن مالك بالشاعر هذا ، وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة ، تخلقاً عن غزوة تبوك فتائب الله عليهم وعذرهم وغير لهم ^(٢) .

ومع ذلك فإن كعب بن مالك يعد من الشعراء الفرسان الذين دافعوا عن

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٣٠٢ .

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب في معمرة الأصحاب ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٢٨٧ .

الدعوة الإسلامية بالسيف والكلمة ، وهو لذلك يجيد وصف المعارك ، وقد وصفه ابن سلام الجمحي في طبقاته بأنه شاعر مجيد^(١) .

ويرى أن حسان بن ثابت كان يعبر المشركين بالأساب ، وعبد الله بن رواحة يعبرهم بالكفر ، أما كعب بن مالك فكان يخوفهم بالحرب . قال ابن سيرين بلغني أن دوساً أسلمت فرقاً من قول كعب بن مالك :

قضينا من تهامة كل وتر وخيبر ثم أغمدنا السيفا
نخيرها ولو نطقنا لقالت قواطعن دوساً أو ثقيلا

فقالت دوس انطقوا فخلدوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف.

وقد سأله كعب بن مالك الرسول ﷺ قال : يا رسول الله ماذا ترى في الشعر؟ فقال رسول الله ﷺ : « المؤمن يجاهد بيشهه ولسانه »^(٢) .

وشعر كعب بن مالك كثير مثبت في سيرة هشام عقب الأحداث كبيرة وصغيرها ، وقد جمع الدكتور سامي مكي العاني هذا الشعر وطبعه تحت عنوان : « ديوان كعب بن مالك » عام ١٩٦٦ م .

والواقع أن كعب بن مالك لم يتل شهرة زميليه حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، بل إن شاعراً جاء بعده وأسلم متاخراً نال شهرة أكثر منه ، وهو كعب بن زهير ، إن ما يميز شعر كعب بن مالك تنوعه ليس فيه جميع أحداث الدعوة الإسلامية ، فقد جمع كعب الفخر والهجاء والمديح ووصف المعارك والرثاء ومناقضة المشركين .

وأول شعر يقابلنا لكتاب كعب بن مالك نقفيته في الرد على ضرار بن الخطاب ، إذ قال كعب :

عَجِّيْتُ لِأَمِّيِّ اللَّهِ وَاللَّهِ قَادِرُ عَلَىٰ مَا أَرَادَ لِيْسَ اللَّهُ قَاهِرٌ

(١) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، ص ٢٢٠ .

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٢٩٠ .

قضى يوم بدر أن نلقي معشر^١
يغوا وسيل البغي بالناس جائز
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
من الناس حتى جمعهم متكاثر
وفينا رسول الله والأوس حوله
له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بني التجار تحت لوائه
يمسون في الماذي والقمع ثائر
فلما لقيتهم وكل مجاهد^٢
لاصحابه مستبل النفس صابر
شهدنا بان الله لا رب غيره
وأن رسول الله بالحق ظاهر^(١)
 فهو في رده حريص على تأكيد المعاني والقيم الإسلامية في شعره ، كالإيمان
بقضاء الله ووحدانيته ونبوة محمد^ﷺ .

وقد شارك كعب بن مالك في غزوة أحد بستانه ولسانه ، فيروى أنه ليس
لامة (عدة الحرب) الرسول^ﷺ وليس الرسول^ﷺ لامته ، أما شعره في أحد
فكثير جداً ، فهو مرة يتكبّر حمزة بل أكثر من مرة ، ومرة يرد على المشركين ،
ومرة يمدح النبي^ﷺ ، يقول :

سائل قريشاً غداة السفح من أحد
ماذا لقينا وما لاقوا من الهراب
كنا الأسود وكانوا الثمر إذا رحروا
ما إن تراقب من إل ولا تسب
فكم تركنا بها من سيد بطل^٣
حامى الدمار كريم الجد والحسير
فيما الرسول شهاب ثم تبسمه
نور مضيء له فضل على الشهير
الحق منطقه والعدل سيرته
فمن يجنه إليه ينج من تسب
لجد المقدم ماضي السهم معترض
حين القلوب على رجف من الرعب
يُمضي ويذمرنا عن غير مقصبة
كانه البدر لم يطبع على الكتب
وكذبوا فكتنا أسدَ العَرَبَ
وتحن تثنيهم لم نال في الطلب
جالوا وجئنا فما قاموا وما رجموا

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، ميج ٢ ، مصدر سابق ، ص ٤١٢ .

لَيْسَا سوَاءُ شَتَىٰ بَيْنَ أَمْرِهِمَا حَزْبُ إِلَهٍ وَأَهْلُ الشَّرْكِ وَالنَّصْبِ^(١)
فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ إِعْجَابٌ شَدِيدٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ يَعْدُ صَفَاتَهُ ، وَهُوَ
إِعْجَابٌ مُشْوِبٌ بِالْحُبِّ وَالْإِخْلَاصِ وَالتَّضْحِيَةِ مِنْ أَجْلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَهُوَ مَا نَلَقَاهُ
تَقْرِيبًا فِي كُلِّ قَصَائِدِ شَاعِرِنَا ، يَقُولُ فِي الْخَنْدَقِ :

وَطَلَبَعَ امْرَ نَبِيَا وَنَجِيَّهُ وَإِذَا دَعَا لِكَرِبَّةِ لَمْ تُسْبِقِ
وَمَتَى يَنْادِي إِلَى الشَّدَادِ تَأْتِهَا وَمَتَى تَرَّ الحَوَامِتِ فِيهَا تُمْتَقِّ
مَنْ يَتَبَعُ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ فِينَا مَطَاعُ الْأَمْرِ حَنَّ مَصَدِّقَ
فِيَذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيَظْهُرُ عَزِّنَا وَيُصَبِّنَا مِنْ تَلِيلِ ذَاكَ يَعْرُفُنَا
إِنَّ الَّذِينَ يَكْلُبُونَ مُحَمَّدًا كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُقْرِبِ^(٢)
وَفِي رِثَاءِ كَعْبَ بْنِ مَالِكٍ رَقَّةَ ، لَا تَمْهِدُهَا فِي مَدَاحِهِ ، أَوْ نَقَاضِهِ مَعَ
مُشْرِكِي قُرِيشَ ، وَكَانَ قَدْ رَوَى حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ كَمَا أَشَرْنَا بِأَكْثَرِ مِنْ قَصِيدةٍ
وَرَوَى عَبْدَةَ بْنَ الْحَارِثَ وَرَوَى النَّبِيِّ ﷺ .

يَقُولُ فِي رِثَاءِ النَّبِيِّ ﷺ :

الَا أَنْعِي النَّبِيَّ إِلَى الْعَالِيَّةِ
جَمِيعًا وَلَا سِيمَ الْمُسْلِمِينَ
الَا أَنْعِي النَّبِيَّ لِاَصْحَابِهِ
وَأَصْحَابِ أَصْحَابِهِ التَّابِعِينَ
الَا أَنْعِي النَّبِيَّ إِلَى مَنْ هَدَى
مِنَ الْجَنَّ لِلَّهِ إِذْ تَسْعَوْنَا
لَفَقَدِ النَّبِيُّ إِمامُ الْهُدَىٰ وَقَدَّ المَلَائِكَةُ الْمُتَرْلِنِينَ
إِنَّ هَذِهِ الْمَاعِظَةَ الصَّادِقَةَ الْمَاجِدَةَ إِيمَانًا وَإِخْلَاصًا لِلرَّسُولِ وَالَّذِينَ هُنَّ الْحَنِيفُونَ
يُكَفَّرُونَ إِلَّا عَنْ نَفْسِهِمْ مَؤْمَنَةً عَمِيقَةً الْإِعْيَانَ صَادِقَةً كُلِّ الصَّدَقَ مَحْبَّةً
لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ .

(١) ابن هشام : المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، المصدر السابق ، ص ١١٥ .

لبيد بن ربيعة

هو لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابي الحميري أبو عقيل الشاعر المشهور^(١).

قال عنه ابن سلام الجمحي في طبقاته : « كان لبيد بن ربيعة أبو عقيل فارساً شجاعاً ، وكان عذيب المنطق رقيق جواشي الكلام ، وكان مسلماً رجل صدق »^(٢). وكان من عشيرة ذات سيادة وشرف في بني كلاب العامريين ، وقد نشأ لبيد وهو يشعر شعوراً عميقاً بكرامة أسرته وأمجادها ومناقبها ، ويجرب أن شب أحد يشتراك في حروفيها وختارتها ووفادتها على أمراء الحيرة ، وقد اشتهر في الجاهلية بعملقته التي مطلعها :

عَقَتِ الدِّيَارُ مَحْلُّهَا فَمَقَامَهَا يَمْنَى تَأَبَدَ غُولُهَا فَرْجَاهَا
فَأَخْذَ اسْمَهُ يَطِيرُ فِي الْقِبَالِ كَشَاعِرٍ مِنْ كَبَارِ الشَّعَرَاءِ الْعَرَبِ ، وَلَا سَارَتِ
الرِّكَبَانِ يَأْمُرُ الرَّسُولَ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ ، وَرَسَالَتِهِ النَّبُوَّةُ ، أَرْسَلَهُ عَمَّهُ أَبُو بَرَاءَ
بِرْسَالَةٍ إِلَيْهِ ، فَوَقَعَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ إِسْلَامَ حِيتَنَدَ ، وَعَادَ إِلَيْهِ
قَبِيلَتِهِ حَتَّى إِذَا اسْتَدَارَ الْعَامُ خَرَجَ مَعَ وَفَدِ بَنِي كَلَابٍ فَاعْلَمُوا دُخُولَهِمْ فِي الْإِسْلَامِ ،
وَقَدْ أَنْشَدَ لَبِيدَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ :

أَتَيْنَاكَ يَا خَيْرَ الْبَرِّيَّةِ كَلَّهَا لَتَرْحَمَنَا مَا لَقَيْنَا مِنَ الْأَرْلِ
أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءَ تَدَمَّى لَيَانِهَا وَقَدْ ذَهَلَتْ أَمَّ الصَّبِّيِّ عَنِ الْعَقْلِ
فَإِنْ تَدْعُ بِالسَّقِيَا بِالْعَفْوِ تَرْسِلُ السَّمَاءَ لَنَا وَالْأَمْرُ يَقْعِدُ عَلَى الْأَصْلِ
وَالْقَى لِكَبِيْتِهِ الشَّجَاعَ اسْتِكَانَةَ مِنَ الْجَرَعِ صَمَّتَا بِالْمَرِّ وَلَا نَحْلِ^(٣)

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تميز الصحابة ، مجل ٣ ، مرجع سابق ، ص ٣٢٦.

(٢) محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ .

(٣) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٣٢٦ .

ورجع لبيد بعد إعلان إسلامه إلى قبيلته يذكر لهم البعث والجنة والنار ويقرأ لهم القرآن ، ويزعم الرواة أن لبيداً كف بعد إسلامه عن قول الشعر ، ويررون أنه قال بيتاً واحداً يختلفون عليه وهو :

الحمدُ للهِ إِذْ لَمْ يَأْتِي أَجْلِي حَتَّىٰ اكْتَسِبَ مِنَ الْإِسْلَامِ سَرِيَّالا
وَذَكَرَ أَبْنَابَ الْبَرِّ فِي الْاسْتِعْبَادِ أَنْ هَذَا الْبَيْتُ لِقَرْدَةَ بْنِ نَفَّاثَةَ السَّلْوَلِيِّ ،
وَيُرَى أَنَّ الْبَيْتَ الَّذِي قَالَهُ حَتَّىٰ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ :

مَا عَاتَبَ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ لِنَفْسِهِ وَالْمَرْءُ يُصْلِحُهُ الْقَرِينُ الصَّالِحُ
وَسَوَاءُ أَقَالَ هَذَا الْبَيْتَ أَمْ غَيْرَهُ ، فَإِنَّ الْمَتَّالِمَ فِي دِيَوَانِ لَبِيدٍ يَجِدُ لَهُ أَشْعَارًا
كَثِيرَةً تَفِيسُ بِمَعَانِي الْإِسْلَامِ وَمَثَالِيَّهُ الرُّوْحِيَّةَ بِحِيثُ يُكَنُّ أَنَّ نَفْسَ شِعْرِهِ إِلَى
قَسْمَيْنِ : قَسْمٌ جَاهِلِيٌّ ، وَقَسْمٌ إِسْلَامِيٌّ .

وفرق شاسع بين شعره الجاهلي ، بما يحمله من غريب النقوط وتراتيب الجاهلية وقيمها ومعانيها ، وشعره الذي قاله بعد إسلامه ، فقد هذبت قراءاته للقرآن من لفظه وأدخلت عليه قليلاً من الطلاوة وأشاعت فيه روح الإسلام . ويعکن أن تلمس أثر الإسلام في قصيدة التي رثى فيها أخاه أزيد :

يَلِيتَا وَمَا تَبَلَّى النَّجُومُ الطَّوَالُعُ وَتَبَقَّى الْجَبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
فَلَا جُزَعَ إِنْ فَرَقَ الدَّهْرَ بَيْتَا وَكُلَّ فَتَى يَوْمَا بِهِ إِلَدَهْرٍ فَاجِعٌ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئِهِ يَحْوِرُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ
وَمَا الْبَرُّ إِلَّا مَضْمُرَاتٍ مِّنَ النُّفُّ وَمَا الْمَالُ إِلَّا عَارِيَاتٍ وَدَائِعٌ
وَيَتَغَلَّلُ الْإِسْلَامُ فِي ضَمِيرِ لَبِيدٍ فَيَتَجَهُ بِأَشْعَارِهِ إِلَى رَبِّهِ مُنْبِيًّا إِلَيْهِ ، وَالْوَجْلُ
يَمْلِأُ قَلْبَهُ مِنْ يَوْمِ الْحِسَابِ ، فَيَقُولُ :

إما يحفظ التقى الآثار
والي الله يستقر القرارُ
والى الله ترجعون وعند الله
وره الامور والاصدارُ
كل شيء احصى كتاباً وعلماً
ولديه تمثلت الاسرارُ
إن لم يكن في الحياة خير فقد
انتظرت لو كان يتبع الانظارُ
عشت دهراً ولا يدوم على الايام إلا برمم وتعمارُ

ونستمر مع لبيد في شعره الإسلامي ، فنذكر لاميته التي نظمها بعد إسلامه ،
وأعجب الرسول ﷺ بإحدى أبياتها ، فبروى عن أبي هريرة أنه ﷺ قال : «أصدق
كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : [الا كل شيء ما خلا الله باطل] » ووقع في معجم
الشعراء للمرزرياني أن النبي ﷺ قالها على المنبر ^(١) . وما ذكره النبي ﷺ شطر
من قول لبيد المشهور :

الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة دائم
أرى الناس لا يدركون ما قدر لهم بلني كل ذي لب إلى الله راسلُ
وكل أمرٍ يوماً سيعلم سعيه إذا كشفت عند الإله المحاصلُ
وكل أنسٍ سوف تدخل بينهم دوبيه تصغر منها الاناملُ
فالشاعر يستمد معاناته والفاظه من القرآن الكريم ولا سيما قوله تعالى : «كُلُّ
مَا عَلَيْهَا فَانِ (٤) وَيَقْنَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ» [الرحمن: ٢٦، ٢٧] . كما أنه
متاثر بالأية الكريمة : « كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُؤْفَنُ أُجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » [آل
عمران: ١٨٥] ، ويقوله تعالى : « أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا يَعْمَلُ مَا فِي الْقُبُورِ (٥) وَحَصَّلَ مَا فِي
الصُّدُورِ » [العاديات: ٩، ١٠].

ويعمد لبيد بن ربيعة طويلاً ، فيقال أنه مات وله من العمر مائة وثلاثون
سنة ، فيعمد الإسلام روحه ، ويحيط شعره إلى قصائد دينية خالصة ، مثل قوله

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في ثغرة الصحابة ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، من ٣٢٧.

من لامية أخرى :

إذ تقوى ربنا خير نعمل وبياذن الله ربى وعجل
 أَحْمَدَ اللَّهَ فَلَا نَدَ لَهُ
 بِيَدِيهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلَ
 مِنْ هَذَا سَبِيلُ الْخَيْرِ اهتَدَى
 نَاعِمَ الْبَالُ وَمَنْ شَاءَ أَصْلَى
 فَأَكَلَبَ النَّفْسَ إِذْ حَدَثَهَا
 إِنْ صَدَقَ النَّفْسُ يَدْرِي بِالْأَمْلَ
 غَيْرُ أَنْ لَا تَكْلِبَهَا فِي التَّقْسِ
 وَأَخْزِنَاهَا بِالْبَرِّ اللَّهُ الْأَجْلَ
 وقد مات لبيد بن ربيعة بالكوفة أيام الوليد بن عقبة في خلافة عثمان بن عفان
 رضي الله عنه (١)

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجلد ٣ ، مصدر سابق ، ص ٣٠٧ .

مازن بن غضوبية

هو مازن بن غضوبية بن شمسة الطائي ، من أهل سمايل ، تجمع المصادر على أنه أول من أسلم من أهل عمان ، رحل من عمان متوجهًا صوب المدينة المنورة ، وكان ذلك في السنة السادسة للهجرة ليتلقن من صدق النبي ﷺ ويعود خالق السماوات والأرض^(١) .

التحق مازن بالنبي ﷺ فدعاه له وأهل عمان بالخبر ، وبالنسبة لشعره سواء في الجاهلية أم في الإسلام فلم يصل إلينا منه إلا ثلاثة مقطوعات ، ومع ذلك يعد أكثر شعر وصل إلينا من شاعر عماني في صدر الإسلام ، التقى بالنبي ﷺ وسمع منه ، وعلى الأرجح فإن هذه المقطوعات بقايا قصائد طويلة ، ويعيننا أن نقف عند مضمونها الإسلامي ، على أية حال يمتاز شعر مازن بن غضوبية - على الأقل ما وصلنا منه - بسهولة اللفظ وبعده عن الغرابة والوعورة مما يدل على أنه قبل بعده إسلامه ، حيث تلحوظ أيضًا التأثر بمعانٍ القرآن الكريم.

يقول مازن بن غضوبية بعد أن التقى بالنبي ﷺ وقد شرح له الإسلام فاحتدى به وأسلم :

كسرت ناجراً جناداً وكان لنا رياً نظيف به ضلاً يتضلال
بالها شمس هدانا من ضلالتنا ولم يكن دينه مني على بال
يا راكباً بلعن عمرًا وإنخوتها آني لمن قال ربي ناجر قال^(٢)
ثم عاد إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام ، غير أنه رجع إلى النبي ﷺ في
رحلة أخرى ، ربما ليطمئنه أنه لم يخرج في نشر الإسلام ، يقول في ذلك مشتملاً

(١) نور الدين السالمي : تحفة الأذيان بسيرة أهل عمان ، ج ١ ، مكتبة الاستئناس ، مسقط ، د . ت ، ص ٥٣ .

(٢) نور الدين السالمي ، المصدر نفسه ، ص ٥٤ .

رسول الله ﷺ .

إليك رسول الله خبت مطيني
تجوب الفيافي من عمان إلى العرج
تشفع لي يا خير من وطن الحصا
فيغفر لي ربى فارجع بالفلج
إلى عشر جانب في الله دينهم
فلا دينهم ديني ولا شر جهنم شرجي
وكنت أمرأً باللهو والآخر مولعاً
شبابي إلى أن أذن الجسم بالنهج
فيبدلي بالحمر أمناً وخشية
 وبالعمر إحساناً فحصل لي فرجي
فأصبحت همي في الجهد ونبي فللها ما صومي والله ما حجي (١)
فالي جانب سهولة الالفاظ ووضوح التراكيب ، نجد تأثر مازن بن غضون
بالقرآن الكريم وأضحت ، فهو في البيت الثالث متاثر بقوله تعالى : « لَكُمْ دِينُكُمْ
وَلِيَ دِينِ » [الكافرون : ٦] ، أما في البيت الأخير فمتاثر بقوله تعالى : « قُلْ إِنَّ
صلاتي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » [الأعراف : ١٦٢] .

(١) نور الدين السالبي ، المصدر نفسه ، من ٥٥ ، ٥٦ .

مالك بن عوف النصري

هو مالك بن عوف النصري زعيم هوزان وثيف ، قاد أكبر معركة قام بها المشركون ضد المسلمين - أي معركة حينن - وقد أبلى بلاء حسناً في المعركة ، ونسمعه يعتذر عن قراره بعد تحول النصر إلى المسلمين ويقول قومه :

كفتموني ذنب آل محمد والله أعلم من أعمق وأظلم
وخلّتموني إذ أقاتل واحداً وخلّتموني إذ أقاتل خمسين
وإذا بنيت المجد يهدم بعضاً لكم لا يستوي باني وأخر بهدم^(١)

وقد أسلم مالك بن عوف وحسن إسلامه ، إذ رغب الرسول ﷺ في إسلامه ، فقد روى ابن إسحاق في سيرته أن رسول الله ﷺ سأله وقد هوزان بعد انتهاء المعركة ، وبعد أن رد لهم سببهم ، فقالوا هو بالطائف مع ثيف ، فقال رسول الله ﷺ : « أخبروا مالكاً إنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل » وعندما علم مالك بذلك خرج متسللاً ليلاً من الطائف ولحق بالرسول ﷺ بالمعبرة أو بمكة فلاؤفي له الرسول ﷺ ، وقال حين أسلم :

ما إن رأيت ولا سمعت بشيء في الناس كلهم بمثل محمد
أوفي وأعطي للجزيل إذا أحذدي ومتى شئت يخبرك بما في غار
وإذا الكتبة غردت أثيابها بالسموري وضرب كل مهند
فكانه ليث على أشباله وسط الهيأة حاذر في مرصد^(٢)

وقد استعمله النبي ﷺ على من أسلم من قومه ، فكان يقاتل بهم ثيفاً ،

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٢) ابن هشام : المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

فلا يخرج لهم سرج إذ أغار عليه^(١) ، وقد ضجع منه أبو محجن الثقفي ولم يكن قد أسلم بعد ، فقال :

هابت الاعداء جابتنا ثم تغزونا بتو سلمة
 واتانا مالك بهم ناقضاً للعهد والخرومة
 واتونا في منازلتنا ولقد كنا أولى نعمنة
 ولا نعلم بعد ذلك مالك بن عوف شعرًا في النبي ﷺ .

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تميز الصحابة ، المجلد الثالث ، مصدر سابق ، ص ٣٥٢

مالك بن نبط

هو مالك بن نبط بن قيس بن مالك الهمداني ، قدم إلى المدينة على رأس
وقد همدان بعد فتح مكة مسلماً ، فقابل النبي ﷺ أثناء عودته من غزوة تبوك ،
آخر غزوات النبي ﷺ ، وكان ذلك في رمضان من السنة التاسعة للهجرة ، وأول
ما قاله في النبي في ذلك اليوم رجزاً ، يشير فيه إلى أنه وقومه قد قطعوا الفيافي
ل مقابلة النبي ﷺ والدخول في الدين الجديد .

إليك جاورون سواد الريف في هبات الصيف والخريف

مخضمات بخظام الليف^(١)

وكان مالك بن نبط فوق ذلك شاعرًا بليغاً ، ومتكلماً فصيحًا ، رأى من النبي
ﷺ أنسًا ورحمة ونورًا مشرقاً ، انعكس على روحه وقلبه المفتح للإسلام ،
فقام للنبي يعاذه على الإسلام هو وقومه الذين آتوا معه فقال :

يا رسول الله ... هاهم أولاء ... خيار القوم وكبارهم من همدان ، يمثلون
كل حواضرها وبواديها ... أنوك يا حبيب الله على إيلنجية قوية سريعة ...
يتصلون بجحائل الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ... جاموك يا رسول الله
من كل مدينة ، وكل قرية ، وقد أجايروا دعوة الرسول ﷺ وفارقوا الإلهيات
والانصاب وقد عاهدوا الله وعاهدوا رسوله ، عهدًا لا يتقضى أبداً ما أقامت
لصلع (اسم جبل) وحاجري البغفران يصلع .

فرحب بهم النبي وعلّمهم من فضل ربه عليه عن الإسلام : أركانه وواجباته
ونواهيه وما يحل وينحر ، ثم كتبت النبي لهم كتاباً أعطاه مالك بن نبط .
ويعنينا هنا أن ذكر أن مالك بن نبط زعيم القوم وشاعرهم كان صادق

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٣٥٦ .

الإعان، ويظهر ذلك فيما وصل إلينا من شعره في النبي ﷺ ، إذ يقول :

ذُكِرَتْ رَسُولُ اللَّهِ فِي فَحْمَةِ الدُّجَى
وَنَحْنُ بَاعْلَى رَحْرَحَانَ وَصَلَدَ
بِرَبِّكَانَهَا فِي لَاحِبِّ مُهَنَّدَ
عَلَى كُلِّ فَتَلَاءِ النَّزَاعِينَ جَمِيعَةَ
حَلَقَتْ بِرَبِّ الرَّقَصَاتِ إِلَى مِنِي
بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا مَصْدَقَ
لَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلَهَا
وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالَبَ الْعَرْفَ جَمَاءَ
وَأَمْضَى بِحَدِّ الْمَشْرِفِيِّ الْمَهَنَّدَ
يُؤَكِّدُ صَدْقَ إِيَّانَ الشَّاعِرِ وَتَأْثِيرَهُ بِالْإِسْلَامِ .
(١)

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، المجلد الثالث ، مصدر سابق ، ص ٣٧٩.

الفصل السادس

[من حرف النون - حرف الهاء]

- ١.التابعة الجعدي
- ٢.النعمان بن عجلان الأنصاري
- ٣.التمرین تولب
- ٤.هند بنت أذانة

النابغة الجعدي

هو قيس بن عبد الله بن عُدّس بن ربيعة بن جعده بن كعب بن عامر بن صعصعة^(١) كنيته أبو ليلي ، ولقبه النابغة ، وكان النابغة قد يُشارُكَ مغلقاً طويلاً البقاء في الجاهلية والإسلام وكان أكبر من النابغة الذهبياني « وقيل له النابغة فيما يقولون لأنَّه قال الشعر في الجاهلية ثم قام منه نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه بعد فقاله قسم النابغة »^(٢) .

ويعود النابغة الجعدي من أكثر الشعراء المخضرمين تأثيراً بالقرآن الكريم لفظاً ومعنى ، فقد وهب نفسه للإسلام وأخذ يتلو القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار، يستقى منه معانٍ شعره التي جاءت متمثلاً لقيم الإسلام وتعاليمه ثلاثة واعياً عميقاً ، بالإضافة إلى أنه استعار كثيراً من الفاظه وصورة البيانية فبلغ بها حداً لا يجاري ، كما أنه استمد من قصصه كثيراً من مادته الشعرية .

وقد النابغة الجعدي على رسول الله ﷺ مع قومه سنتين تسع للهجرة ، يقول

النابغة : أتيت رسول الله ﷺ فأشدته قوله :

ولما نعمت خيلنا إذا ما التقينا أن تميد وتنظرا
وننكر يوم الروع الوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجرون أشقرنا
وليس يمروء لنا أن نردها صحاحاً ولا مستنكراً أن تعقرنا
بلغنا السماء مجدها وجودتنا وإنما لرجو فوقذلك مظهرها
فقال النبي ﷺ : « إلى أين يا أبي ليلي » ، فقلت : إلى الجنة ، قال : « نعم
إن شاء الله تعالى » فلما أنشدته :

(١) محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، ص

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٨١ .

وَلَا خَيْرٌ فِي حَلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرٌ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يَكْدِرَا
وَلَا خَيْرٌ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلْمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدِرَا
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَفْضِلُ اللَّهُ فَالَّكَ » (١)

والقصيدة طويلة تصل إلى ماتي بيت ، وقيل أن النابعة أنشدها النبي ﷺ
كاملة ، والقصيدة على هذا النحو كتبت في الجاهلية ، فزاد فيها الشاعر بعض
الآيات عندما أنشدها النبي ﷺ ، مثل قوله من القصيدة نفسها :

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ بِالْهَدِيِّ وَيَتَلَوُ كِتَابَ الْكَلْجُرَةِ نَبِرًا
وَجَاهَدَتْ حَتَّىٰ مَا أَخْسَنَ وَمَنْ مَعَهُ سَهِيلًا إِذَا مَا لَاحَ حَتَّىٰ تَحْوِرَا
أَقْبَمَ عَلَى الْقَوْىٰ وَأَرْضَى يَفْعَلُهَا وَكَنْتُ مِنَ النَّارِ الْمَخْوَفَةِ أَخْبَرَا
وَوَاضِعُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَثْرَ الْإِسْلَامِ - وَإِنْ كَانَ الشَّاعِرُ أَقْحَامًا لِكِي
يَنْشُدَهَا أَمَامَ الرَّسُولِ - (٢) . فَهُوَ يَمْدُحُ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا آتَى مِنَ الْهُدَىٰ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ
مِنَ الْقُرْآنِ ، كَمَا يَفْخُرُ بِإِسْلَامِهِ وَجَهَادِهِ وَقَوَاهِهِ .

على أن أثر الإسلام يظهر بعد ذلك في شعر النابعة الجعدي بعدما يوغل في
الإسلام ، حتى تكاد أن تكون نظماً لتعاليم الإسلام وقيمه مثل قوله :

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقْتَلُهَا فَنَفَّهَ ظَلَمًا
الْمَرْجَحُ الْأَلْيَلُ فِي النَّهَارِ وَفِي اللَّيْلِ سَلَّمَ نَهَارًا يَفْرَجُ الظَّلَمَةِ
الْخَافِضُ الرَّافِعُ السَّمَاءَ عَلَى الْأَرْضِ وَلَمْ يَنْتَهِ تَحْمِلَهَا دُعَمًا
الْخَالِقُ الْبَارِيُّ الْمُصْوِرُ فِي الْأَرْجَامِ مَاءٌ حَتَّىٰ يَصِيرَ دَمًا
مِنْ نُطْفَةٍ قَدَرُهَا مَقْدُرُهَا يَخْلُقُ مِنْهَا الْإِنْسَانَ وَالنَّسَاءَ
ثُمَّ عِظَامًا أَقْامَهَا عَصَبَ ثُمَّ لَحَمًا كَسَاءَ فَإِنَّا

(١) ابن عبد البر : المصدر نفسه ، من ٥٨٤ .

(٢) محمود علي مكي : الملائج النبوية ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

ثُمَّ كَسَ الْرِّيشَ وَالْعَقَاتِقَ أَبْ شَارِ وَجِلْدَهُ تَخَالَهُ أَدْمَا
وَالصُّوتَ وَاللَّوْنَ وَالْمَعَايِشَ وَالْ
أَخْلَاقَ شَيْئَ ، وَفَرَقَ الْكَلِمَاتَ
وَالله ، جَهْرًا ، شَهَادَةَ قَسْمًا
وَاعْتَصَمُوا إِنْ وَجَدْتُمْ عِصْمَانِ
فَاتَّسِرُوا إِلَيْهِ مَا بَدَأْ لَكُمْ
عِصْمَةَ مِنْ إِلَّا لَمَنْ رَحِمَهُ
فَأَرَسَّ بَادِتْ وَخَلَهَا رَعْمَا
كَائِنًا كَانَ مَلْكُومْ حَلْمًا
أَوْ سَبَّابَ الْحَاضِرِينَ مَارِبَ إِذْ
يَبْتَوِنُ مِنْ دُونِ سَبِيلِ الْعِرْمَا
فَعُزُّقُوا فِي الْبَلَادِ وَاعْتَرَفُوا إِلَيْهُونَ وَذَاقُوا الْبَأْسَاءَ وَالْعَدَمَ
وَبَدَّلُوا السُّدُّرَ وَالْأَرَاكَ بِهِ الْ
سَخْمَطَ وَاضْحَى الْبَيْانُ مَنْهِدِمًا^(١)
وَالْمَتَّأْمَلُ فِي الْآيَاتِ يَجِدُ أَنَّ الْفَاظَ الْقُرْآنَ وَمَعْنَاهُ تَرْدَحُ فِيهَا ازْدَحَاماً كَثِيفًا ،
فَهُوَ فِي بَدَائِيَّةِ الْآيَاتِ يَشْتَى عَلَى الله تَعَالَى مَقْرَبًا إِيمَانَهُ بِوَحْدَاتِهِ ، ثُمَّ يَعْدُ آيَاتِ
الله وَصَفَاتَهُ وَقَدْرَتَهُ ، وَيَذَكُرُنَا بِالْأَمْمِ السَّابِقَةِ كَفَارَسَ وَسَبَابَ الْيَتَامَةِ
جَزَاؤُهَا الْإِبَادَةُ .

وَلَمْ يَقْفِ النَّابِغَةُ فِي شِعْرِهِ عِنْدَ تَمْثِيلِ مَعْنَى الْقُرْآنِ وَالْفَاظِهِ . فَنَجَدَهُ يَجْمِعُ بَيْنَ
الْإِيَّانِ وَالْعَمَلِ بِهِ وَالْجَهَادِ فِي سَبِيلِ الله ، فَمَعْرُوفُ أَنَّهُ قَدْ حَسِنَ إِسْلَامَهُ وَخَرَجَ
إِلَى بَلَادِ فَارِسِ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ الله ، وَلَعِنَّا نَقْفُ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي يَخَاطِبُ
فِيهَا زَوْجَهُ ، إِذْ كَانَتْ عَنْهُ تَصْدِهِ عَنِ الْخَرُوجِ إِلَى الْجَهَادِ :

بَاتَتْ تَذَكِّرِنِي بِالله قَاعِدَةَ وَالْدَّمْعُ يَنْهَلُ مِنْ شَانِيهِما سَبَابَ
يَا ابْنَةَ عَمِيْ كَتَابُ الله أَخْرَجَنِي كُرْهَا ، وَهَلْ امْتَعَنَّ الله مَا فَعَلَ

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ج ١ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥

فَإِنْ رَجَعْتُ فَرِبُّ النَّاسِ بِرَجْعِنِي وَإِنْ لَحَقْتُ بِرِبِّي فَابْتَغِي بِدِلْأَ
مَا كُنْتُ أَعْرَجْ أَوْ أَعْمَى فَبِعَذْرَنِي أَوْ ضَارِعاً مِنْ ضَنِّي لَمْ يَسْطِعْ حِولَه^(١)
إِنَّ الْمَتَّالِ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ الْأَرْبَعَةِ يَلْحِظُ تَأْثِيرَ الشَّاعِرَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَهُوَ
فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مَتَّاَثِرٌ يَقُولُهُ تَعَالَى : « كُبَّ عَلَيْكُمُ الْفَنَالُ وَقُوَّةُ كُرَّهَ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنَّمَا لَا تَعْلَمُونَهُ »
[البقرة: ٢١٦] . وَفِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ بِخَدْهِ مَتَّاَثِرٍ يَقُولُهُ تَعَالَى : « لَيْسَ عَلَى الْأَعْنَى
حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَخْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمُرْبِعِ حَرْجٌ » [آلِنُورِ: ٦٦] .

مِنْ نَاحِيَّةِ أُخْرَى يُكَنِّ الْقُولُ أَنْ فِي رَدِ النَّابِعَةِ الْجَعْدِيِّ عَلَى اِمْرَأَتِهِ دَلِيلٌ قَاطِعٌ
عَلَى أَنَّ الْجَهَادَ - خَاصَّةً فِي الْفَتوَحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ - لَمْ يَكُنْ إِلَّا جَهَادًا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، دَافِعَهُ الْوَحِيدُ هُوَ الْعِقِيدَةُ الْدِينِيَّةُ وَلَيْسَ طَعْمًا فِي الْغَنَامِ وَخَيْرَاتِ الْبَلَادِ
الْمُفْتَوَحَةِ ، كَمَا يَزْعُمُ الْمُغْرِضُونَ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَمِنْ تَبَّعِهِمْ مِنَ الدَّارِسِينَ .
وَقَدْ عَمِرَ النَّابِعَةُ طَوِيلًا ، فَبَرَوْيَ أَنَّهُ وَقَدْ عَلِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ فِي مَكَّةَ
وَكَانَ قَدْ اسْتَقْلَ بِالْأَمْرِ وَأَنْشَدَ قَوْلَهُ :

حَكَيْتُ لَنَا الصَّدِيقُ لَمَا وَلِيَتَا وَعْشَانَ وَالْفَارُوقُ فَارْتَاحَ مَعْدِلُ
وَسُوَيْتَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَقِّ فَاسْتَوْرَا فَعَادَ صَبَاحًا حَالَكَ الْلَّيلَ مَظْلُمٌ
أَنَّاكَ أَبُوكَ لَيْلَى تَحْبُوبُ بِهِ الدُّجَى دِجَى الْلَّيلَ جَوَابَ الْفَلَاهَ عَرْمَرَجُ
لَتَجْبِرُ مِنْهُ جَانِبَا دَعَدَعَتْ بِهِ صَرْفُ الْلَّيَالِيِّ وَالْزَّمَانِ المُصْمَمِ
فَقَالَ الزَّبِيرُ : هُونَ عَلَيْكَ يَا أَبَا لَيْلَى ، فَإِنَّ الشِّعْرَ أَيْسَرُ وَسَائِلَكَ عَنْدَنَا لَكَ فِي
مَالِ حَقَّانَ ، حَقَّ لِرَوْيَنَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَقَّ لِشَرِكَتَكَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ فِي
فِيهِمْ^(٢) . ثُمَّ أَخْدَهُ بِيَدِهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ .

وَكَانَتْ وَفَةُ النَّابِعَةِ سَنَةُ خَمْسِينَ لِلْهِجَرَةِ .

(١) ابن قبيبة : المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٤٠ .

النعمان بن عجلان الأنصاري

هو النعمان بن عجلان بن عامر ذريق الأنصاري الزرقاني ، كان لسان حال الأنصار وشاعرهم^(١) . وهو الذي خلف على خولة بنت قيس امرأة حمزة بن عبد المطلب بعد قتله واستشهاده في غزوة أحد .

ويقال أنه كان رجلاً أحمر قصيراً تزدريه العين ، ومع ذلك كان سيداً في قومه ، وبعد من شعراء الدعوة المتألقين عن الإسلام ، وكان يلقب بشاعر الأنصار ، ربما لأنه في شعره كان يحرص على الفخر بدور الأنصار في مناصرة الدعوة المحمدية .

وقد وصلنا من شعره قصيدة طويلة تعد تاريخاً للدعوة المحمدية من خلال دور الأنصار فيها ، يقول النعمان بن عجلان الأنصاري :

فقل لقريش نحن أصحاب مكة
وبيوم حنين والقوارس في بدر
وتحن رجعنا من قريطة بالذكر
وبيوم بأرض الشام إذ قتل جعفر
وزيد وعبد الله في علق يجري
نطاعن فيه بالمشقة السمر
ييفضاً كامثال البروق على الكفر
ونصرت في يوم العجاجة أروساً
نصرنا وأورينا النبي ولم تخف
صروف الليالي والعظيم من الأمر
وأهلها سهلاً قد أمنت من الفقر
وقلنا لقوم هاجروا مرحباً بكم
نقاسمكم أموالنا وديارنا
ونكفيكم الأمر الذي تكرهونه
وكنا أناساً نتعجب العسر باليسر

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٦٢ .

وكان خطأ ما أتينا وأنت صواباً كأن لا نريش ولا نيري
وقتكم حرام تصب سعد ونصبكم عتيق بن عثمان حلال آبا يكر
وأهل أبو يكر لها خير قائم وإن علياً كان أخلق للأمر
وكان هوانا في على وإنه لأهل لها من حيث ندرى ولا ندرى
وهذا بحمد الله يشفى من العمى ويفتح آذاناً ثقلن من الورق
لهم رسول الله في الغار وحده وصاحب الصديق في سالف الدهر
فلولا إنقاء الله لم تذهبوا بها ولكن هذا الخير أجمع للصبر
ولم نرض إلا بالرضا ولربما ضربنا بأيدينا إلى أسفل القدر^(١)

أترت أن أنقل القصيدة كاملة هنا ، لأنها الشعر الوحيد الذي روى للنعمان ابن عجلان في المصادر الأدبية القديمة ، وإذا كان الرواة لم يذكروا أن النعمان أشد النبي ﷺ شعراً مادحاً ، فلأنهم يذكرون أنه كان له منه صحبة ، فيروى أن النبي ﷺ دعا له بالشقاء العاجل ، عندما دخل عليه وهو مريض . يقول النعمان : دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أوعك ، فقال : « كيف تجذبك يا نعمان ؟ » فقلت : أجدني أوعك . فقال : « اللهم شفاء عاجلاً » وقد عمر النعمان حتى عهد على ابن أبي طالب ، وكان قد استعمله على البحرين ، ولعل ذلك يفسر ميوله الملعوبة في القصيدة التي ذكرناها آنفاً ، فجعل النعمان يعطي كل من جاء منبني زريق وقومه ، فقال فيه الشاعر أبو الأسود الدؤلي :

أرى فتنة قد ألهت الناس عنكم فندلاً زريق المال ندل الشعالي
فإن ابن عجلان الذي قد علمتم بيد مال الله قفل المناهب
ولا يعرف - كما أشرنا - لابن عجلان شعراً غير الذي ذكرنا ، ولم يذكره ابن سعد في طبقاته الكبرى فيمن روى النبي ﷺ .

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٤٩ .

الثمر بن تولب

هو الثمر بن تولب بن زهير بن أقيش بن عبد كعب بن الحزب بن عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناف بن أد العكلي ^(١) . قال عنه المريزياني في معجم الشعراء : كان شاعرًا فصيحًا وقد على النبي ﷺ وكتب له كتاباً ، ثم نزل البصرة بعد ذلك . وقد وضعه ابن سلام الجمحي في الطبقة الثامنة ، وقال عنه : جواد لا يليق شيئاً ، وكان شاعرًا فصيحًا جريئًا على المتعلق وكان أبو عمر يسميه الكيس لحسن شعره ^(٢) .

عمر طويلاً حتى أنكر عقله ، فيقال أنه عاش مائة سنة ، وهو القائل :

بَدَّتِي الْفَتِنَ طُولَ السَّلَامَةِ جَاهِدًا فَكَيْفَ يَرِي طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ
بَرَدَ الْفَتِنَ بَعْدَ اعْتِدَالِ وَصْحَةِ يَنْوَهُ إِذَا رَأَى الْقِيَامَ وَيُحَمِّلُ
وَهُوَ قَوْلٌ يَدْلِي عَلَى كَبِيرِ سَنَهُ أَوْ تَجْرِيَتِهِ فِي كَبِيرِ السَّنَنِ .

أما شعره الذي أنشده النبي ﷺ حين وفد عليه فهو قوله :

إِنَّا أَتَيْنَاكَ وَقَدْ طَالَ السَّفَرُ نَقْوَدْ خَيْلًا ضَمَرَا فِيهَا عَسْرٌ
نَطَعْمَهَا اللَّحْمُ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ وَالخَلِيلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمُ ضَرَرٌ
يَا قَوْمَ إِلَيْيَ رَجُلٌ عَنِّي خَبَرَ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ هَذَا الْعَمَرُ
وَالشَّمْسُ وَالشَّمْرِي وَآيَاتُ أَخْرٍ ^(٣)

وعلى الرغم من قلة ما وصلنا من شعر الثمر بن تولب ، فإن القليل الذي

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٧٢ .

(٢) محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، ص ١٦ .

(٣) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مجل ٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٨٠ .

بين أيدينا يدل على تأثير الكبير بالإسلام ، مثل قوله :

لا تعصينَ على امرئ في ماله وعلى كرامٍ صلبٌ مالكَ فاغضب
وإذا تصيبك خصاصة فارجُ الغنى ^{بـ} وإلى الذي يُعطي الرِّغائب فارغب
في البيت الأول يدعو الشاعر إلى القناعة وعدم السخط واللحد على
الآخرين ، وفي البيت الثاني دعوة صريحة إلى الاعتماد على الله تعالى والرجوع
إليه لنبيل الغنى .

ومن شعره الجيد أيضاً الذي يظهر فيه الآخر الإسلامي قوله :

أقني حسي به ، ويعز عرضي علي إذا الحقيقة أدركتني
وأعلم أن ستدركني المانيا فإذا اتبعها تتبعني

على أن آثر الإسلام يظهر بصورة أوضح في قوله :

أعني رب من حصر وعي ومن نفس أعلجها علاجا
ومن حاجات نفسي فاعصمني فإن المضرمات النفس حاجا
وأنت وكيفها فبرقت منها إليك وما قضيت فلا خلاجا
ففي الآيات السابقة تظهر نغمة التوسل إلى الله تعالى والرجاء والدعاء
بالحماية من شرور النفس وكذلك يظهر الاستسلام والخضوع لله تعالى .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن ابن قتيبة عذ التمر بن تولب من أطرف الناس
شعر^(١) لقوله :

أهيم بدد ما حبيت فإن أمت أوص بدد من يهيم بها بدني

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، مصدر سابق ، ص ٣١٠ .

هند بنت أثاثة

هي هند بنت أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن مناف ، وأخت مسطح بن أثاثة ، فهي مطلية قرشية ، أسلمت يمكنا في فجر الدعوة قبل الهجرة إلى المدينة بوقت طويلاً ، وقد خاضت معارك الإسلام بشعرها ، ونافتحت عن رسول الله ﷺ وهجت كفار قريش وجرى بينها وبين هند بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب مناقصات شعرية ، فكانت في ذلك شريكة لحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، مع فارق القدرة الشعرية بينها وبينهم ، ومع ذلك تستحق أن تعد من شعراء الدعوة الإسلامية .

في وقعة أحد تقف هند بنت عتبة على صخرة عالية تفتخر بقتل حمزة بن عبد المطلب وغيره من أصيب من المسلمين قاتلة :

نَحْنُ جِزِّنَاكُمْ يَوْمَ بَدرٍ وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتِ سُعْدٍ
مَا كَانَ عَنْ عَتْبَةِ لَيْ مِنْ صَبَرٍ وَلَا أَخْرَى وَعَمَهُ وَبَكَرِي
شَكَّيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ تَذْرِي شَكَّيْتُ «وَحْشِي» غَلِيلَ صَدْرِي
وَعِنْدَ ذَلِكَ تَحْبِبَهَا هند بنت أثاثة ناقضة قولها ومفتدة حجتها ، قاتلة :
خَزَّيْتُ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ يَا بَنْتَ وَقَاعِ عَظِيمِ الْكُفَرِ
صَبَحَكَ اللَّهُ غَدَةُ الْفَجْرِ مَلَهَا شَمْبَيْنِ الطَّوَالِ الزَّهْرِ
بِكُلِّ قَطَاعِ حَسَامٍ يَفْرِي حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلَيْهِ صَقْرِي
إِذْ دَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ غَدْرِي فَخَضَّبَ مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ
غَيْرَ أَنْ مَقْدَرَةً هند بنت أثاثة الشعرية وتميزها سيظهر في غرض الرثاء ، حيث
ترثي شهداه بدر ، وخاصة الصحابي الجليل ، عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ،
حامل أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين ، وكان عبيدة بن الحارث

قد استشهد في بدر متأثراً بجراحه ، بعد أن استطاع أن يقتل عتبة والد هند زوج أبي سفيان بن حرب المذكورة آنفاً ، تقول هند بنت أثالة .

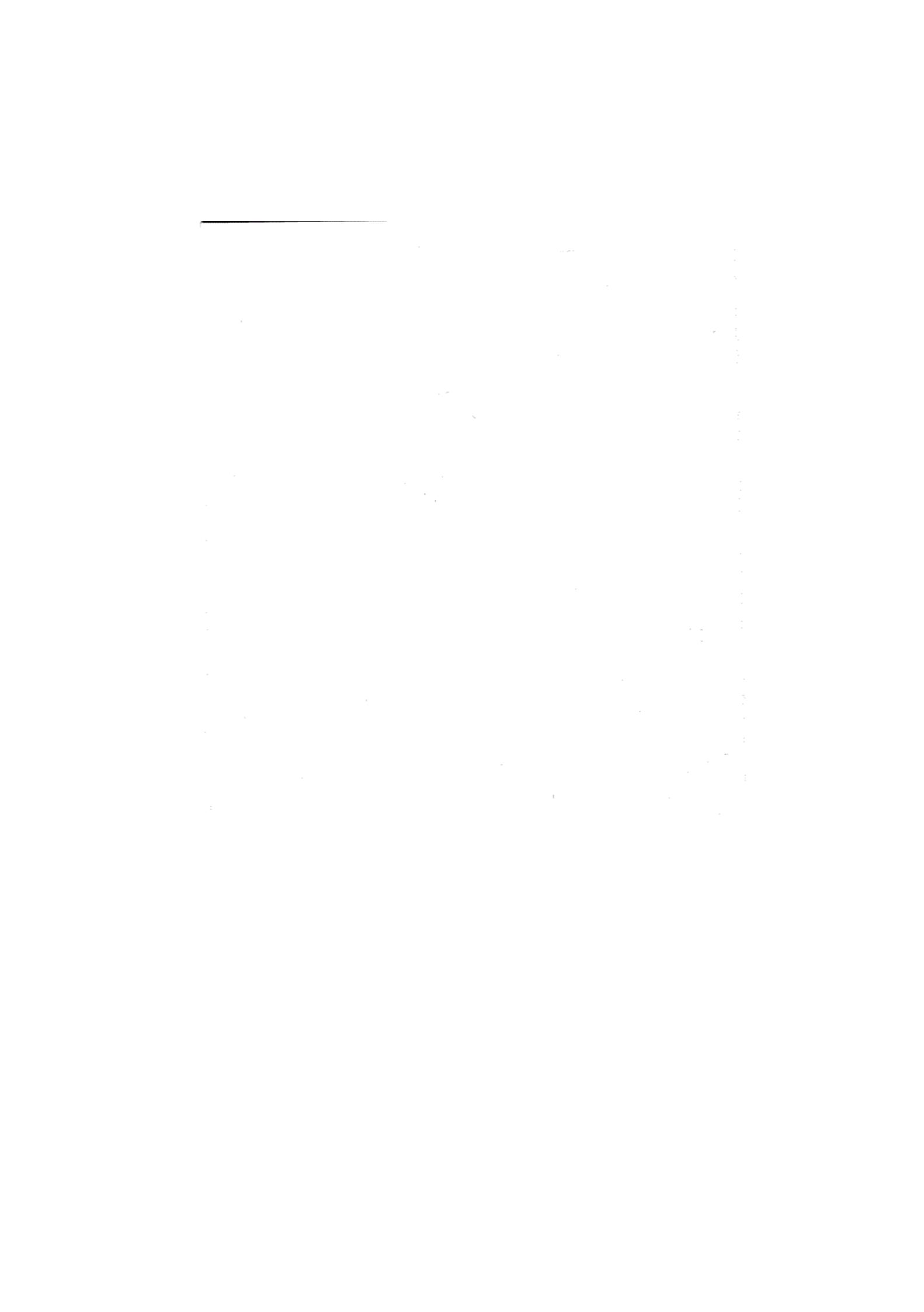
لقد ضمن الصفراء مجدًا وسوداً^(١) وحلماً أصيلاً وافر اللبّ والعقل
عيادة فابكيه لاصياف غربة وأرملة تهوي لاشعت كالجبل
وبكية للآقوام في كل شتوة إذا احمرّ آفاق السماء من محلِّ^(٢)
والآيات تنم عن موهبة شعرية وتمكن واضح من فن الشعر ، وإن رأينا
مسحة جاهلية واضحة في المعاني والالفاظ ، بيد أنه مع مرور الأيام ترق الفاظها،
وتلين ، وتبدو فيها المعاني الإسلامية واضحة جلية ، نرى ذلك في رثائهما للنبي
ﷺ وقد كان الرثاء هو الغرض الغالب على شعرها . أورد لها ابن سعد في
طبقاته الكبرى ثلاث مقطوعات جميعها في رثاء النبي ﷺ ، نكتفي هنا بذكر
الثانية منها ، حيث يظهر فيها ان الإسلام وصدق العاطفة ودقة تكشف عن طبيعة
المرأة في رثائهما وشعرها عامّة :

الا يا عين بكى لا تملئ فقد بكر النبيُّ من هويتُ
وقد بكر النبيُّ ترك شخصي رسول الله حقاً ما حبيتُ
ولو عشتَ ونحن تركنا فينا وأمر الله يترك ما يكفيت
فقد بكر النبيُّ بذلك عمداً فقد عظمت مصيبة من نعيتُ
وقد عظمت مصيبة وجهت وكل الجهد يدرك قد لقيت
إلى رب البرية ذاك نشكرو فإن الله يعلم ما أتيتُ
أفاطم إله قد هد ركتي وقد عظمت مصيبة من رُزيتُ^(٢)

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الأول ، مصدر سابق ، ص ٤٢٣ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ٣٣١ .

المصادر والمراجع



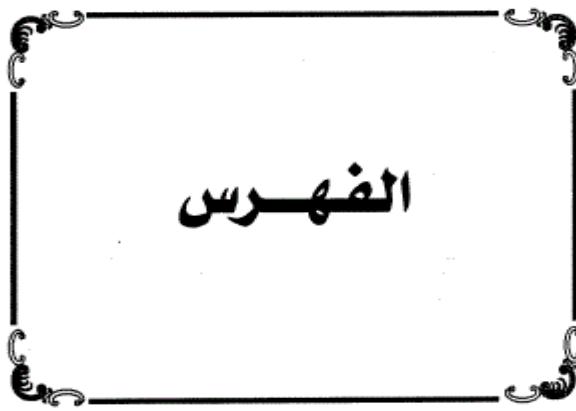
قائمة المصادر والمراجع

- ١ - أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح : من اسمه عمرو من الشعرا ، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الماخنفي القاهرة ، ١٩٩١ .
- ٢ - أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- ٣ - إسماعيل اليوسف : الخساء ، سلسلة الشعراء العرب ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، بدون تاريخ .
- ٤ - الأعشى : شرح ديوان الأعشى الكبير ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٢ .
- ٥ - ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ٦ - ابن خلدون : المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ٧ - ابن رشيق : العمدة في محسن الشعر وأدابه ونقاذه ، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ٨ - دكتور سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب (عالم المعرفة) ، الكويت ، ١٩٨٣ .
- ٩ - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت ، بدون تاريخ .
- ١٠ - د . سيد حنفي حسين : ديوان حسان بن ثابت ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
- ١١ - د . شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، دار المعارف ، ط ٨ ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
- ١٢ - د . صلاح عيد : مدح الرسول في فجر الإسلام ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

- ١٣ - طه حسين : حديث الأربعاء ، ج ١ ، دار المعارف ، ط ١٤ ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- ١٤ - دة. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ، دار المعارف ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- ١٥ - ابن عبد البر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (على هامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلان) مجل ٤ ، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ١٦ - عبد العزيز الدسوقي : محمد والشعر ، مجلة الهلال ، عدد أغسطس ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٩٧ .
- ١٧ - عبد العزيز الميموني : ديوان حميد بن ثور الهلالي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ .
- ١٨ - د. علي سامي النشار : شهداء الإسلام في عهد النبي ، دار المعارف ، ط ٩ ، القاهرة ، ١٩٨٩ .
- ١٩ - عودة الله متبع القبسي : تجرب في النقد التطبيقي ، دار الشير ، عمان ، ١٩٨٥ .
- ٢٠ - د. فايز ترحبي : الإسلام والشعر ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ .
- ٢١ - ابن قيبة : الشعر والشعراء ، ج ١ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- ٢٢ - ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ .
- ٢٣ - د. محمد أحمد سلامه : الشعر في رحاب الدعوة الإسلامية في عصر صدر الإسلام ، ط ١ ، مطبعة حسان ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
- ٢٤ - محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبرى) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- ٢٥ - محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، قراء وشرحه محمود محمد شاكر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠١ .
- ٢٦ - د. محمد عادل الهاشمي : شعر عصر صدر الإسلام من منظور التطور الإسلامي ، مكتبة المدار ، الأردن ، ١٩٨٦ .
- ٢٧ - د. محمود على مكي : المذايق النبوية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩١ .
- ٢٨ - ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق محمد شحاته إبراهيم ، دار المدار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ٢٩ - نور الدين السالبي : مقدمة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج١ ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، بدون تاريخ .
- ٣٠ - يحيى الجبوري : الإسلام والشعر ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٤ .





الفهرس

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٧	المدخل : الشعر في العهد النبي و موقف القرآن والرسول ﷺ منه
٢١	الفصل الأول : [حرف الهمزة]
٢٣	أبو ذؤيب الهلاي
٢٦	أبو سفيان بن الحارث
٢٩	أبو طالب بن عبد المطلب
٣٣	أبو قيسة صرمة بن أنس
٣٦	أبو محجن الثقفي
٣٨	أروى بنت عبد المطلب
٤٠	الاعشى ميمون بن قيس
٤٣	أنس بن زئيم الكناتي
٤٥	الفصل الثاني : [من الباء إلى الخاء]
٤٧	بحير بن زهير
٥٠	الحارود بن المعلوي
٥٢	حسان بن ثابت
٥٨	الحسين بن الحمام المري
٦٠	الخطية
٦٣	حميد بن ثور
٦٦	خُبَيْبَ بن عُدَيْ
٦٨	خزاعي بن عبد نعيم
٦٩	الختام

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث : [من الزاي إلى الضاد]	٧٣
زهير بن صرد السعدي	٧٥
سعدي بنت كرير العبشمية	٧٧
سود بن قارب الدوسي	٧٩
شيماء بنت الحارث	٨١
صفية بنت عبد المطلب	٨٣
الصلصال بن الدلهمس بن جندلة	٨٧
ضرار بن الأذود	٨٨
ضرار بن الخطاب الفهري	٨٩
الفصل الرابع : [حرف العين]	٩١
عاتكة بنت زيد	٩٣
عبد بن بشر	٩٥
العباس بن عبد المطلب	٩٧
العباس بن مرداس	٩٩
عبد الله بن الحارث السهمي	١٠٣
عبد الله بن رواحة	١٠٦
عبد الله بن الزبيري	١١١
عكلان بن عواكن الحميري	١١٤
عمرو بن الجموج الانصاري	١١٦
عمرو بن سالم الخزاعي	١١٨
الفصل الخامس : [من القاف إلى الميم]	١٢١
قبيلة بنت النضر بن الحارث	١٢٣
قردة بن نفالة السلولي	١٢٥

الصفحة	الموضوع
١٢٦	قُسْ بْنُ سَاعِدَةَ الْيَادِي
١٢٨	قَيْسَ بْنُ نَثْبَةَ السَّلْمِي
١٣٠	كَعْبَ بْنَ زَهْرَةَ
١٣٣	كَعْبَ بْنَ مَالِكَ
١٣٧	لَبِيدَ بْنَ رَبِيعَةَ
١٤١	مَارِنَ بْنَ غَضْوَةَ
١٤٣	مَالِكَ بْنَ عَوْفَ التَّصْرِي
١٤٥	مَالِكَ بْنَ ثُمَطَ
١٤٧	الفَصْلُ السَّادِسُ : [مِنَ النُّونِ إِلَى الْهَاءِ]
١٤٩	النَّابِتَةُ الْجَعْدِي
١٥٣	الْتَّعْمَانُ بْنُ عَجْلَانَ الْأَنْصَارِي
١٥٥	الثَّمَرُ بْنُ تَوْلِبَ
١٥٧	هَنْدُ بْنَ أَنَاثَةَ
١٥٩	الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ
١٦٥	الفَهْرِسُ

